

السنه السابعة (جمادى الثاني سنة ١٣٥٩ هـ - يوليو سنة ١٩٤٠ م) العدد الاول

صحيفة دار العلوم

مر ١ ح ١٩٣٤ ع ٢

نصرها "جماعة دار العلوم"

كل ثلاثة أشهر

رئيس التحرير

محمد علي مصطفى

المدير

محمد نجيب حيايه

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير

بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباغى بومى

المدرس بدار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

٢٠ قرشاً

٣٠ قرشاً

٥ قروش

فى القطر المصرى

خارج القطر

ثمانى العدد

مطبعة العلوم بشايع الخليج ١٦٣

إِنْ بَاحِثًا مَدَقَّقًا لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ إِنْ تَمُوتُ
اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَإِنْ تَحْيَا، لَوَجَدَهَا تَمُوتُ فِي كُلِّ مَكَازٍ
وَتَحْيَا فِي دَاخِرِ الْعُلُوفِ

الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

الشيخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صحيفة دار العلوم

دخلت الصحيفة في عامها السابع، وهي تنمو وترعرع، كلما مرت بها
السنون، وقد تغلبت على المشكلات التي نشأت عن الحرب، من قلة الورق،
وارتفاع ثمنه، وكثرة النفقات التي يتطلبها الطبع والإصدار والنشر.
إن الصحف والمجلات قد اختزل حجمها، إلى نحو النصف عما كان عليه
قبل الحرب، ولكن صحيفة دار العلوم مازالت محتفظة بمستواها، من جهة الكم
والكيف، لأنها لا ترمى إلا إلى غرض واحد، هو نشر الثقافة في أسلوب
عربي صميم، بين طلاب الأدب العربي، في جميع الأقطار الناطق أهلها بالضاد
وهي تنتظر من قرائها أن يعينوها على تحقيق غرضها، بمالهم وجاههم
ووروثهم الفكرية، والله يحزيهم عن اللغة وأهلها خير الجزاء.

جماعة دار العلوم

كان العام الماضي في تاريخ الجماعة من أحفل الأعوام بالعمل الصالح، الذي يعود نفعه على أبناء دار العلوم عامة، فقد قام مجلس الإدارة بدراسة عدة مسائل ترتبط بالتعليم، أبدى فيها رأيا موفقا، وكتب مذكرات عدة تقدم بها إلى الجهات المختصة، وطالب فيها بحق أبناء دار العلوم، في الوظائف الكبيرة والدرجات المختلفة، ومرت بالمجلس أزمات، انقطع أعضاؤه لدراستها، حتى تغلبوا عليها، في كثير من الهدوء والروية وبعد النظر، مؤثرين في ذلك مصلحة بلادهم، وخدمة قومهم، على تحقيق أغراضهم الخاصة.

وحاولت أيد أن تعيث باتحاد الجماعة، وأن تطمس مقام به المجلس في خلال العام من جسيم الأعمال، وعلى الرغم مما قامت به هذه الفئة مما يقصد منه انصراف الغالبية العظمى عن مناصرة المجلس، وإقراره على الخطة الحكيمة التي اتخذها، أدرك أعضاء الجماعة، حين اجتمعوا اجتماعهم السنوي، أن مجلس الإدارة لم يقصر في أداء واجب، ولم يدع وسيلة من الوسائل المشروعة إلا اتخذها لتحقيق غاياته، ولذلك جددوا انتخاب سبعة من ثمانية الأعضاء الذين انتهت مدة انتخابهم، وفي هذا دليل على حكمة أبناء دار العلوم، وحسن تقديرهم، ووزنهم المسائل بميزان دقيق.

ومما يجب أن يغتبط به الأستاذ نجيب حتاته، رئيس الجماعة، ويغتبط به زملاؤه المخلصون، أنه انتخب رئيسا للجماعة بالإجماع، دون أن يحضر الاجتماع، وهذا دليل على ماله من مكانة عند اساتذة اللغة العربية في المدارس المختلفة، ولا يسعنا إلا أن نبعث إليه بالتهنئة خالصة، ونرجوه أن يستمر على خدمة الجماعة، وإخلاصه لأعضائها، والله يوفقه وأعضاء المجلس إلى تحقيق ما نصبو إليه من غايات.

الامتحانات العامة

شغل المفكرون وأصحاب الرأي فينا بالحرب الحاضرة، التي اشتعل لظاها في كثير من أقطار المعمورة، وبالبحث عن مكان أمين يلجأ إليه أولادهم وأهلهم، إذا جد الجد، وبالهجرة إلى بلاد الريف، وبالحصول على أسباب العيش — شغلوا بكل هذا وغيره عن الامتحانات العامة ونتائجها السيئة.

وتناولت الصحف بعض هذه النتائج، وأظهرت عدم رضاها عنها، ولكنها سرعان ما انصرفت عنها إلى شئون الحرب والسياسة.

ولو أن الحرب لم تشغل بال الناس، ولم يصرفهم التفكير في نتائجها والاستعداد لها، لجرت الأقلام، وامتلات الصفحات، وارتفعت الشكوى من كل ناحية، ولتوالت الوفود من أولياء أمورهم على وزارة المعارف.

والواقع أن هذه مشكلة جدية بالبحث والنظر، فإن هبوط النسبة المئوية للنجاح في امتحان السنة التوجيهية لا نعرف له سببا معقولا، يطمئن إليه الناس، وقد كان الرسوب في الأعوام الماضية يعزى إلى انصراف التلاميذ عن دروسهم وإضرابهم عن تلقي العلم، واشتغالهم بتأييد مذهب سياسي، أو نزعة حزبية، ولكن العام الماضي مر في هدوء، وكنا نلمح في التلاميذ حين نزور المدارس كثيرا من آثار الجد، وأمارات الاهتمام، والرغبة في التحصيل.

وقد نجح هؤلاء الطلاب جميعا في امتحان الثقافة العامة في العام الماضي، ومعنى ذلك أنهم قطعوا المراحل الدراسية السابقة في توفيق ونجاح، فماذا حدث في خلال دراستهم في السنة التوجيهية، حتى جعل الجمهرة العظمى منهم تخفق في الامتحان؟

إن المدرسين الذين يعهد إليهم بالتدريس في السنة التوجيهية يختارون من بين المدرسين في المدارس الثانوية، ويراعى في اختيارهم الكفاية العلمية، والاطلاع الواسع، والقدرة على إثارة الشوق في الطلاب، وتحبيب العلم إليهم، والنشاط الموفور وحسن العرض لما يسوقون من حقائق العلم، والإخلاص الذى يدفعهم الى العمل الموصول، وأنهم من أصحاب النفوذ الأدبى في طلابهم، وجملة القول أن المدرسين في السنة التوجيهية هم صفوة المدرسين في المدارس الثانوية ولا أستسيغ أن ينسب سوء النتائج بعد هذا كله إلى المدرسين اللهم إلا إذا قام على ذلك دليل لا ينقض.

أما تلاميذ الثقافة العامة فلسنا نعرف على التحقيق سببا في إخفاق الكثرة الغالبة منهم في هذا الامتحان، ومن المعروف أن وزارة المعارف هي التي تتولى امتحان النقل في المدارس الحرة، فمدرسوها هم الذين يضعون الأسئلة، وهم الذين يخصصون لكل سؤال عددا من الدرجات، وهم الذين يوزعون هذه الدرجات على أجزاء السؤال، ونظار المدارس الأميرية هم الذين ينظمون اللجان، ويشرفون على تقدير الدرجات ورصدها، ويعلنون النتائج، لا فرق في ذلك بين تلاميذ المدارس الأميرية وسواهم، فإذا كان التلاميذ قد انتقلوا إلى السنة الرابعة باستحقاق فليس هناك ما يقف عقبة في سبيل نجاحهم في امتحان الثقافة العامة اللهم إلا عددا قليلا منهم قصر في التحصيل في أثناء العام الدراسى أو شغلته أسباب خاصة أو لم يرزق من الذكاء إلا قدرا ضئيلا لا يتمكن معه من إصابة الغرض.

وكذلك تفاوتت نسبة النجاح في امتحان شهادة إتمام الدراسة الابتدائية في المناطق المختلفة ، ولا شك أن من أسباب التفاوت الأسئلة فإننا إذا عقدنا موازنة بين أسئلة المناطق في مواد الدراسة المختلفة ، وجدنا بينها فروقا واضحة فبعضها سهل قريب التناول وفي حدود مدارس التلاميذ ، وبعضها يحتاج إلى إنعام النظر وإلى دقة الفكر وإلى مقدار من التحصيل .

والواقع أن التلاميذ لم يوزنوا بميزان واحد ، مع أن الحقوق التي تترتب على النجاح في هذا الامتحان واحدة للجميع .

هذه ملاحظات سريعة قصدنا بها توجيه الأذهان إلى مشكلات الامتحان والذي نرجوه أن يتفضل حضرة صاحب المعالي وزير المعارف بتأليف لجنة من أصحاب الرأي في الوزارة تكون مهمتها البحث عن الأسباب التي أدت إلى سوء النتائج في امتحان الثقافة العامة وامتحان القسم الخاص وعن الوسائل التي تتخذ لعلاج أسباب الضعف فإن إنسانا لا يرضى أن يبذل المدرسون والمفتشون والنظار والمراقبون هذا المجهود المضني في خلال العام الدراسي ثم تنكشف المسألة عن رسوب سبعين في كل مائة من التلاميذ.

الكتب الدراسية

عدلت وزارة المعارف عن الطريقة التي جرت عليها منذ زمن وهي تكوين لجان من رجالها لتأليف الكتب الدراسية ومنحهم مكافآت على حسب ما يبذلون في تأليف هذه الكتب من مجهود.

أما الطريقة الجديدة التي لجأت إليها فهي طريقة المسابقة التي يتقدم إليها كل من أنس في نفسه الكفاية في التأليف في فرع من الفروع منفردا أو بالاشتراك مع غيره.

والكتاب الصالح يشتري حق تأليفه لمدة معينة قدرها أربع سنوات ولا يشترط أن يكون الكتاب خاضعا للمنهج في حدوده وقيوده لأن الوزارة ترمي إلى أن تضع في يد الطالب كتابا في المادة أهم ما يراعى فيه مستوى الطالب والقدر من المادة الذي لا يخرج عن طاقته ولو كان في ذلك بعض الخروج عن نقط المنهج مع المحافظة على أغراض المنهج وروحه وقد استبعدت الطوائف الآتية من التقدم للمسابقة.

١ لجنة الكتب العليا

٢ المراقبون

٣ مساعداو المراقبين

٤ كبار المفتشين

٥ لجان وضع شروط مسابقات الكتب وفحصها

وقد اتسع المجال أمام النابهين من المدرسين الذين لهم قدرة على الإنتاج الناضج وتناول الطريف من الموضوعات والعرض الحسن ومسيرة عقول التلاميذ في مختلف المراحل.

وأملنا أن يبرز أبناء دار العلوم ويضولوا ويجولوا في هذا الميدان العلمي الواسع ليكون للتعليم من خبرتهم وجهودهم أوفى نصيب

التفاضل بين الشعراء

وآراء النقاد في ذلك

للكنوز أحمد ضيف

لقد كان التفاضل بين القدماء والمحدثين، وبين المحدثين بعضهم وبعض - يرجع إلى مذهبين: مذهب الرواة علماء اللغة، ومذهب الفنيين البلغاء أو علماء البلاغة. فكان اللغويون والرواة كالأصمعي وأبي عمرو بن العلاء وابن الأعرابي وغيرهم يفضلون القدماء؛ لأنهم عرب خلص لا يتطرق الخطأ اللغوي إلى كلامهم، فكلامهم حجة على صحة اللفظ والعبارة، وكثيرا ما كان هؤلاء العلماء والرواة يتجنبون رواية شعر المحدثين. ولشدة اعتقادهم أنه مملوء بالخطأ اللغوي قالوا: كان عمرو بن العلاء يقول (لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته) يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعلوه مولدا. بالإضافة إلى شعر الجاهليين.

لم يكن الفرق بين القديم والحديث عند هؤلاء إلا بتقدم الزمن، والنظر إلى صحة العبارة، فدعاهم ذلك إلى تفضيل القديم على كل حديث، والإقرار للقدماء بالفضل على غيرهم، وقد زووا في ذلك ما حكاه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: «جلست إليه عشر حجج فما رأيت يحتاج بيت إسلامي». وسئل عن المولدين فقال: «ما كان من حسن فقد سبقوا إليه. وما كان من قبيح فهو لهم». وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (المتوفى سنة ٣٦٦ هـ) في كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه: «وما أكثر من نرى ونسمع: من

حفاظ اللغة ومن جلة الرواة ممن يلهم بعيب المتأخرين. إن أحدهم ينشد البيت فيستحسنه ويعجب منه ويختاره، فإذا نسب إلى بعض أهل عصره وشعراء زمانه كذب نفسه ونقض قوله، ورأى تلك الغضاضة أهون محملاً وأقل مرزأة من تسليم بفضيلة لمحدث، والإقرار بالإحسان لمولد. حكى عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى أنه قال أنشدت الأصمعي.

هل إلى نظرة إليك سبيل فيل الصدى ويشفي الغليل
إن ما قل منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

فقال: والله هذا الديباج الخسرواني. لمن تشدني؟ فقلت: إنهما ليلتهما فقال:

لا جرم أن أثر التكلف فيهما ظاهر^(١)

أما مذهب البلغاء ونقاد الكلام وأصحاب الأذواق الفنية وجلهم من الأدباء أو الشعراء، فكانوا يفضلون الشاعر على غيره؛ نظراً إلى ديباجته وحسن أسلوبه وجلالة ألفاظه وجزالة معانيه ودقة عباراته ولطافة استعاراته أو تشبيهاته أو كتاباته وغير ذلك مما يدخل في صوغ الكلام وحسن العبارة. وقد غلب هذا المذهب على غيره حتى بنى عليه النقد الأدبي في الشعر والنثر، وساق الأدباء جميعاً إلى التعمق في نقد الأساليب والألفاظ فصاروا إذا حرموا حول نقد المعنى نظروا إليه من حيث أنه مدلول اللفظ لا غير، بدون نظر إلى صلته بنفس الشاعر أو بالحالة النفسية والاجتماعية اللهم إلا تليحاً لذلك أحياناً، ككلامهم عن شعر المتنبي وأبي العلاء من أن فيه شيئاً من الفلسفة. على أن بعضهم أخرج هذا النوع من الشعر العربي؛ لأنه رأى أنه على غير طريقة العرب في قول الشعر لتعمقه في ضروب التفكير والفلسفة.

وقد امتلأت كتب النقد الأدبي بهذا المذهب البياني، وقصر النقاد آراءهم في الفضل بين الشعر على الصناعة اللفظية قال ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) عند تقسيمه الشعر مامليخه: «تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب:

ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه... وضرب منه حسن لفظه وخلا معناه فإذا أنت فقتلته لم تجد هناك طائلا... وضرب منه جاد معناه وقصرت الألفاظ عنه... وضرب منه تأخر لفظه وتأخر معناه وقال في موضع آخر: وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى ولكنه قد يختار على جهات وأسباب منها الإصابة في التشبيه الخ).

وفي هذا دليل على أن الأدباء قد عتروا بالصناعة وبالوجه الفنية عناية تدل على حسن الذوق ودقة الإدراك لمواضع جمال القول وتأثر نفوسهم بفنون الكلام، وقد كان لتعمقهم في هذه المباحث وإمعانهم فيها أن دفعوا بالشعراء والكتاب في قواعد البلاغة وأصولها، وصرفوهم عن التفكير في إيجاد أنواع أدبية أخرى، والعناية بالموضوعات الاجتماعية العامة. على أن لهذه الطائفة من النقاد آراء تحسب من الآراء الجيدة والأفكار السديدة في نوعها، ولو لا إيجازها الذي ألبسها ثوبا من الحفاء وما بها من الصناعة اللفظية التي تجعلها كالبها طلاء لكانت من أحسن ما كتب في النقد الأدبي وأصحها. فمن ذلك أن بعض الأدباء سئل عن الشعراء، فقال السائل: «وسألته عن بشار فقال: نظار غواص، مطيل مجيد، يصف ما لم يره وكأنه قد رآه، على أن في شعره ظلا كثيرا» قلت: فمروان قال: «شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه معجب لا يرى أن أحدا يتقدمه، كثير الصواب كثير الخطأ، ليس الشعر صنعة» قلت: فمسلم قال: «خليع صاف يتزع من بحر كالزبد يورى تارة ويصلد أخرى» قلت: فأبو العتاهية قال: غناء جم واقتدار سهل وشعره كخرز الزجاج وربما أشبه الباقوت والزبرجد، قلت: فأبن الأحنف قال: «يلقى دلوه في الدلاء فيغترف الصفو أحيانا والحماة أحيانا على أن كدره أكثر من صفوه» قلت: فمسلم الخاسر قال: «مقل مداح شعره ديباج وعين يمويه الرديء حتى يشبهه بالجيد» قلت: فالعتابي قال: «عالم بأشعار العرب محتذ على مثالهم أحيانا وأوربما مال إلى تعقيد الكلام على أنه يروم مرآه من هاتين الجهتين» قلت:

فالحزيمي قال : « صنعتُه سهلة لا يكابر طبعه ولا يكدر فكره .. قلت : فأبو تمام قال : « سيل كثير الغشاء غزير العماء جم النطاف فإذا صفا فهو السلاف بالماء الزلال .. قلت : فأبو دلالة قال : « جد وهزل ومجتنى ومرغوب عنه إذا قصد مراما تناوله غثاوسميئا » قلت : فأبو الشمقمق قال : « هجاؤه لذاع ومديحه بلاماء أكثره لانفع فيه ^(١) » .

وهناك آراء أخرى في النقد والتفاضل بين الشعراء مرجعها الذوق أو الآراء الشخصية . كمن فضل البحترى ونسبه إلى حلاوة اللفظ وحسن التخلص ووضع الكلام في موضعه وصحة العبارة وقرب المآتى وانكشاف المعاني وهم الشعراء المطبوعون وأهل البلاغة : ومثل من فضل أبا تمام ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة . ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام ^(٢) الموضوعات والمعاني والأساليب : لقد نظر أدباء العرب إلى أغراض الشعراء في أقوالهم ، فجعلوها أغراضا للشعر ، وحصروا هذه الأغراض في الغزل والوصف والفخر والمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والزهو والأدب والتهاني والرثاء والخزيات وغيرها . وأرجع بعض الأدباء أغراض الشعر كلها إلى أربعة وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء وقالوا : قراعد الشعر أربعة : الرغبة والرغبة والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجه ... إلى آخر ما قالوا - وقال قوم : الشعر كله نوعان مدح وهجاء فإلى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وما تعلق بذلك من محمود الوصف ويدخل في هذه الأمثال والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا . والقناعة والهجاء ضد ذلك ^(٣) .

(١) مقدمة ديوان أبي نواس لحمة الأصماني (٢) راجع الموازنة للآمدي ص ٢. (٣) راجع باب

حد الشعر في كتاب العمدة لابن رشيق

وفصل هذا التقسيم قدامة بن جعفر (المتوفى سنة ٣٣٧ هـ) في كتابه (نقد الشعر) فجعل لكل منها قواعد وشروطا يرجع إليها الشاعر عند نظم الكلام في غرض من الأغراض وبين الصالح من الفاسد في المعاني والآلفاظ وتخير المعاني الجزئية كما قال في المدح : « إنه لما كانت فضائل الناس . من حيث أنهم ناس . ومن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيبا ، والمادح بغيرها مخطئا ، وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر المدح منها بالبعض والإغراق فيه دون البعض ، مثل أن يصف الشاعر إنسانا بالجود الذي هو أحد أقسام العدل وحده فيغرق فيه ويتفنن في معانيه أو بالنجدة فقط فيعمل فيها مثل ذلك أو بهما أو يقتصر عليهما دون غيرهما فلا يسمى مخطئا لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله لكن يسمى مقصرا عن استعمال جميع المدح ، فقدوجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلات لا بغيرها والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها ولم يقتصر على بعضها وذلك كما قال زهير بن أبي سلمى في قصيدة له :

أخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلته إيمانه في اللذات وأنه لا ينفد ماله فيها ، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه إلى ذلك عن اللذات وذلك هو العدل ثم قال :

تراه إذا ماجتته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فزاد في وصف السخاء بأن جعله يهش له ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله ثم قال :

فمن مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضيم أو لخضم يجادله ؟

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوعب زهير في أبياته هذه المديح بالأربع الخصال التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة وزاد في ذلك . . . وإن كان داخلا في هذه الأربع .

وهكذا سار جميع النقاد في شرح الأغراض وأنواع الشعر المعروفة التي أخذوها من الشعراء الأقدمين حتى في نظم القصائد وترتيب معانيها كما جاء في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) قال: «وسمعت بعض أهل العلم يقول: إن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن فشكا وبكا وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر؛ لانتجاعهم الكلاء وانتقالهم من ماء إلى ماء. وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبا ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ويستدعى به إصغاء الأسماع إليه لأن النسيب قريب من النفوس، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهو وسرى الليل وإنشاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأمل وقرر عنده ماناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافآت وهزه على السماح وفضله على الأشباه وصغره في قدره الجزيل .

فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام ولم يطل ويميل السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد هذا في جملة هو نظام القصيد ومنهج الصناعة فيه وهو الذي سنه النقاد ليكون نموذجا للشعراء المحدثين ثم قال ابن قتيبة بعد ذلك: «وليس لتأخر الشعراء أن يخرج عن

مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر ويبيكي عند مشيد
البنيان؛ لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافى أو يرحل على حمار
أو بغل فيصفهما؛ لأن المتقدمين رحلوا على الناقة أو البعير أو يرد على المياه
العذبة الجوارى؛ لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامى، أو بقطع إلى
الممدوخ منابت النرجس والورد والآس، لأن المتقدمين جروا على قطع
منابت الشيع والخنوة والعرار » وقد رجع المحدثون إلى كل ذلك وإلى
ما كان شائعا معروفا في الشعر العربي القديم فلم يزيدوا شيئا عن تلك الموضوعات
إلا التوسع في بعضها .

وكأنما كان التمييز بين القديم والحديث من جهة الصنعة لا غير لامن جهة
الموضوعات؛ لأن الأدباء والنقاد قالوا: إن المعنى في وسع كل إنسان أما اللفظ
واختياره فليس يقدر عليه كل كاتب أو شاعر، وإنما التفاضل بين الشعراء هو
في اختيار اللفظ وجزالته كما قالوا: كانت العرب ومن تبعها من السلف تجرى
على عادة في تفخيم اللفظ وجمال المنطق لم تألف غيره ولا آنسها سواه، وكان
الشعر أحد أقسام منطقها، ومن حقه أن يختص بفضل تهذيب وينفرد بزيادة
عناية، فإذا اجتمعت تلك العادة والطبيعة وانضاف إليها العمل والصنعة خرج
كما تراه فخما جزلا قويا متينا. وكان القوم يختلفون في ذلك وتباين فيه أحوالهم
فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق
الآخر (١) .

ويظهر من كل هذا أن الشعراء لم يزيدوا شيئا في الموضوعات إلا التوسع في
بعضها كما توسع البحترى وابن الرومى في الوصف وكما ذكر أبو تمام والمتنبي
وأبو العلاء في كلامهم الحكم والأمثال والاقتباس من كلام الحكماء حتى جعلوا
من الشعر حكما ومن الحكم شعرا، ولا شك في أن هذه الطريقة الجديدة والإكثار
من الكلام في هذه الموضوعات جعلت الشعر العربي كأنه انتقل من طور

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي عبد الغزير الجرجاني

الخيال الصرف والاقتصار على المسائل الخاصة إلى معالجة الكلام في
الموضوعات العامة النفسية والاجتماعية، وهذا كل ما حصل من جديد في أغراض
الشعر بعد العصر الأموي .

أما المعاني والأخيلة فقد كان التجديد فيها أظهر والابتكار أبين. فإن كثيرا
من المعاني الجزئية التي لم تكن معروفة قبل هذا العصر ظهر أثرها في الشعر،
ولا تكاد تجد شاعرا خلا شعره من معنى جديد ابتكره من نفسه، أو أخذه
من غيره . من ذلك قول بشار في المدح:

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي
ومن مبتكراته قوله:

قالوا: بمن لا ترى تهذى فقلت لهم الأذن تعشق قبل العين أحيانا
وكقول أبي نواس:

ومستطيل على الصبياء باكرها في فتية باصطباح الراح حذاق
فكل شيء رآه ظنه قدحا وكل شخص رآه قال: ذا الساقى
وكقول ابن المعتز في قلم:

راكع ساجد يقبل قرطا سا كما قبل البساط شكور
وكما في قول أبي العتاهية:

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح

فإذا المستور منا بين جنبيه نضوح

وقال بعض الحكماء: إنما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها، فأخذ أبو تمام
هذا المعنى وقال:

والحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها

ومن معاني أبي تمام المبتكرة قوله:

تكاد عطاياه يحن جنونها إذا لم يعوذها . بنقمة طالب

الأسلوب : أما أسلوب الشعر في العصر العباسي فيختلف سهولة وانسجاما ورقة على حسب أمزجة الشعراء وتمكنهم من ملكة البيان فليس أسلوب أبي نواس كأسلوب أبي تمام، ولا أسلوب البحتري كأسلوب المتنبي وأبي العلاء، ولكن أسلوب الشعر في هذا العصر في جملة أسلوب سهل رقيق؛ لأن كثيرا من الموضوعات التي طرقها الشعراء كانت تستدعي رقة العبارة وحسن الإشارة وساعد الشعراء على ذلك أثر الحضارة فتهذبت أفكارهم وأخيلتهم وترتبت ملكة الافتنان فيهم، وأظهر ما يكون ذلك في المدح والوصف . على أنه كان لبعض الشعراء الذين طرقوا الموضوعات الفلسفية كالمتنبي وأبي العلاء شئ من التعقيد في كلامهم خرجوا به أحيانا عن أساليب الخيال المعروفة عند العرب، وقد يحمل الإمعان في الصناعة بعض الشعراء كأبي تمام على الخروج من الرقة والانسجام إلى التكلف وتعمل الصنعة إذ من مميزات الشعر في هذا العصر الإمعان في الصناعة اللفظية وابتكار بعض الأوزان والمقطوعات وميل الشعراء إلى الإغراق في أنواع البديع والإكثار من الاستعارات والتشبيهات حتى برعوا في ذلك براعة لا تجارى بل تدعو إلى الدهشة والإعجاب .

وصلة القول : أن الأدباء يعتبرون للولدين مذاهب في الشعر . وأكثر

هذه المذاهب ترجع إلى أساليب الشعراء وطريقتهم في نظم الكلام، وهو على حسب رأيهم ينحصر في أن منهم من يؤثر اللفظ على المعنى ويجعله غايته فيذهب إلى فخامة الكلام وجزالته من غير تصنع أو تكلف كقول بشار :
إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس وأقطرت دما
إذا ما أعرنا سيدا من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلمنا
وقالوا: إن هذا النوع يجب أن يكون أسلوبا للمدح والفخر . ومنهم من

يذهب إلى سهولة اللفظ ولا يعنى بما عسى أن يكون من اللين المفرط كأبي
العتاهية والعباس بن الأحنف ومن تابعهم وهم يرون الغاية في قول أبي العتاهية

يا إخوتي إن الهوى قاتلي فصيروا الألفان في عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى فإنني في شغل شاغل
يا من رأى منكم قتيلًا بكى من شدة الوجد على القاتل

وقد اعتبروا أن هذا الكلام بلغ النهاية في سهولة الألفاظ وملاحة القصد
وحسن الإشارة. ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته، ولا يبالي حيث
وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي وأبي الطيب وماشا كليهما.
ويذهب بعضهم إلى سهولة اللفظ وما يلائم الاستماع منه مع الصنعة المحكمة
وكأنما يغتصب المعنى اغتصاباً فيضعه في قالب له كقول أبي تمام:

ولقد أراك فهل أراك بغبطة والعيش غرض والزمان غلام
أعوام وصل كادينسى طولها ذكرى النوى فكأنها أيام
ثم أنبرت أيام هجر أردفت بجوى أسى وكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكانهم أحلام!!
ومن الشعراء من يسلك السهولة مع إحكام الصنعة وقرب المآخذ بدون
أن يظهر على كلامه كلفة مثل البيهقي في قوله:

أيها العاتب الذي ليس يرضى ثم هنيئاً فليست أطعم غمضاً
إن لي في هواك وجداً قد استهلك نومي ومضجعا قد أفضا
فجفوني في عبرة ليس ترقا وفؤادي في لوعة ماتقضى
يا قليل الإنصاف كم اقتضى عندك وعداً إنجازه ليس يقضى
أحبنى بالوصال إن كان جوداً وأنبنى بالحب إن كان فرضاً
بأبي شادن تعلق قلبي بعيون فواتر اللحظ مرضى
لست أنساه إذ بدا من قريب يتشنى تننى الغصن غصنا

واعتذارى إليه حين تجافى لى عن بعض ما أتيت وأغضى
 أيها الراغب الذى طلب الجو د فأبلى كرم المطايا وأنضى
 رِدْ حياض الإمام تلقى نوالا يسبح الراغبين طولا وعرضا
 فهناك العطاء جزلا لمن را م جزيل العطا والجود محضا
 هو أندى من الغمام وأجدى وقعات من الحسام وأمضى
 يتوخى الإحسان قولا وفعلًا ويطيع الآله بسطا وقبضا
 وهكذا بلغت الصناعة فى هذا العصر وما بعده مبلغا عظيما . وهذه أمثلة
 من كلام المحدثين يستدل بها على مقدار خيالهم وقوة ابتكارهم فى الصناعة
 الشعرية ووصولهم إلى درجة قد تكون أحيانا غاية فى الكمال وقوة الخيال
 وحسن البيان، وأحيانا يظهر فيها التعمل والتكلف الذى قد يخرج بالكلام عن
 الشعر المطبوع إلى الكلام المصنوع، ويجعل الشعر صناعة بحتة أومة كلفا كقول
 بعضهم يصف سواد شعر امرأة جميلة .

فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم
 وكقول البحترى فى بركة المتوكل :
 فحاجب الشمس أحيانا يضاحكها وريق البرق أحيانا يباكيها
 وكقول أبى نواس وهو من كلامه الرقيق يصف الخمر :
 فتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم
 صنعت فى الكأس إذ مزجت كصنيع الصبح فى الظلم
 وكقوله أيضا فى ذلك :

قامت تريك وأمر الليل مجتمع صبحا تولد بين الماء والغنب
 كأن صغرى وكبرى من فقاقتها حصباء در على أرض من الذهب
 وكقول مسلم بن الوليد :
 مستعير يبكى على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب

ومثل ذلك قول بعض الشعراء :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحكك المشيب برأسه فبكي
على أن كثيرا من هذه الأمثلة والتشبيهات والصناعة الشعرية كانت قبل
العصر العباسي، فقد قال الفرزدق :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليل يصيح بجانيه نهار
ولكن المحدثين أمعنوا في الصناعة وزادوا على ما كان معروفا، كما أنهم
أبدعوا أيما إبداع في كثير من أنواع الشعر حتى لقد يرق شعرهم فيدب في
النفس ديبا كما قال أبو نواس :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب

إن بكى يحق له لبس مابه لعب

تضحكين لاهية والمحب ينتحب

كلما انقضى سبب منك عادلى سبب

تعجبين من سقمى صحتى هي العجب

أحمد صيف

التمثل في الأدب العربي

وحظ شعر المتنبي منه

لهُستاز على النجدي ناصف

المفتش بالمعارف

يجتاز الإنسان في بعض مراحل القول ، كاتبا أو متكلما — بمواقف يشعر فيها أنه بحاجة إلى سند من الحكمة المرسلة ، أو القولة الماثورة ، أو المثل السائر ، أو النص البارع : يعزز به رأيه ، أو يقيم حجته ، أو يوضح مبهمة عرضت له ، أو ينفي شكاً يتوجس منه . وإذا وقع له من ذلك ما يريد ، ووفق في إirاده واصطناعه — أحس كأنما أتيح له فيض من العون والتأييد فيما هو بسبيله ، فيمضي راضيا مطمئنا .

وربما أغراه باصطناع هذه المقابس أو بعضها مجرد تذكرها ، وتحرك الخاطر لها في أثناء الكلام ، لقوة المشاكاة بين المواطن التي قبلت فيها ، والمواطن التي يراد إزجاؤها إليها . وقد يكون اصطناعها لمجرد الإدلال بفضل المعرفة وسعة الرواية ، أو القصد إلى زخرفة القول وتزيينه ، بما يمتزج به ، أو ينضاف إليه من تلك المقابس ؛ فترتاح النفس لهذه المراوحة ، وتعجب بحسن الملازمة بين الأصل وما يترأكب عليه ، أو ينتثر خلاله . كما تعجب بجمال التحلية والتطريز في الحياة ، أو التكفيت والتقوية في النجارة .

هذا هو التمثل كما أريد الحديث عنه ، وتلك بعض مقتضياته الحافزة عليه وهو ظاهرة ظريفة من الظواهر الفنية ، التي لا بست الأدب العربي في حالي

تقدمه وتقهره، وظلت على العهد بها في الحالين جميعا لم تكمد تتأثر بما أصابه من التغير والتحول، كأنها إحدى خصائصه العريقة، أو سمة من سماته الملازمة. وما نرى في هذا بجانبه للألف من طبيعة الأدب العربي، ولا للبأنور من سجايا أهله. فالعرب كما لا يخفى أهل فصاحة وبيان، وقد آتاهم الله حسا مرهفا، وعاطفة متقدة، وذكاء خاطفا. وكان للكلام البليغ عليهم سلطان. لا يكاد يعدله سلطان، وكان لهم به ولوع شديد يحبون مناقته، ولا يملون الاستماع له. وهل أيد الله رسوله ﷺ بحجة أبليغ، أو معجزة أغلب من القرآن الكريم. ألم تكن آياته تتلى عليهم أبعد ما يكونون من الله، وأشد ما يكونون عتوا عن رسوله، وإصرارا على مناهضة دعوته، فهاهي إلا أن تفرع أسماعهم حتى يؤخذوا ببلاغتها أخذا شديدا، يزلزل كيانهم، ويحق أباطيلهم، ويسلبهم الكبرياء والجبروت. فإذا حميتهم خشوع، وإصرارهم انقياد واستسلام، وإذا هم يهرعون إلى الله مذعنين، يجاهدون في سبيله أصدق الجهاد وأخلصه، غير ضانين بجهد ولا حياة ولا مال ولا ولد؟ ألم يكن النبي ﷺ يقول عن شعرائه: هؤلاء نفر أشد على قريش من نضح النبال. ويقول لحسان (رضي الله عنه): اهجمهم (يعني قريشا)، فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام؟ ولأمر ما يقول معاوية: يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب^(١). وكان الخلفاء يأخذون أبناءهم برواية الشعر والبصر بغريبه ومشهوره. وكانوا يكبرون شأن الرواة، كأفضل ما يكبرون من شأن الكفاة وذوى الأقدار في الدولة: يكرمون وفادتهم إذا حصروا، ويفتقدونهم إذا غابوا: ولقد كان الخليفة يارق بغض لباله، أو يتوق إلى سماع قصيدة بعينها، أو يتذكر شطري بيت ولا يتذكر قصيده، فيبعث في طلب الراوية، يأمر أن يوافيه من فوره؛ ليلتمس عنده ما يشتهي. وقد يكون مهاجرا أو

(١) العدة: ٦: ١٠، ١٢: ١٢.

على نأى منه ، فلا يثنيه عن طلبه بعد الشقة وعقاييل الطريق ، فشاعت الرواية ، ونفقت سوقها دهرًا طويلًا ، حتى كانت الصفة المشتركة ، بين رجال الثقافة والفكر ، مامنهم إلا له نصيب منها ، ومشاركة فيها ، أيا كانت صناعته . وربما وصل فيها مع ما يحسن من علم أو فن إلى مرتبة المبرزين الثقات ، فأضيف إلى جملة الرواة وحفاظ اللغة . بل لقد كان كثير من ذوى المهن الدنيا كالسقا والقيان يتعاطون الأدب ، ويأخذون بحظ من الرواية .

وجاء منها العلماء والأدباء المؤلفون بالعجب العجائب ، وإنك لتقرأ من كتبهم ما تقرأ ، فيبهرك منها تقصى الشواهد ، واستقراء النظائر ، وإزجاء الأمثلة من المنظوم والمثور ، والجاهلي والإسلامي ، حتى ما تكاد تدري أى أمر يهم أعجب وأغرب : أهذه الرواية الدافقة المتبحرة ، أم هذا التصنيف فى إيرادها ، وحسن التمثل بها ، والاستنباط منها ؟

فلا عجب أن نرى القوم قد مزجوا الأدب بالحياة ، وتعاطوه فى الصغير والكبير من أمورهما : لا يدعون حادثة تحدث ، ولا سانحة تسنح فى جد أو لعب ، إلا كان للأدب بينهما مجال ، وله فيها مقال : إما بالرواية ، أو الإنشاء : يروون فيها مقالة الأولين ولا زيادة ، إذا كان لهم فيها مقال ، وكان لهم منه كفاية وبلاغ ، وإلا ففى نتائجهم عديل له ، أو إضافة إليه ، أو ابتكار يتفردون به ، فإذا لهم على الحالين طرب يزيد سرورهم ، أو عزاء يذهب الحزن عنهم ، أو مسلاة تطفىء لوغتهم ، أو قبس يلهب نار الحماسة ، أو إشراقة نور تهدى للتي هى أقوم .

ذلك شأن التمثل إبان ازدهار الأدب ، وينع ثماره . وهو كذلك إبان ذبول الأدب وجفاف مائه قد وجد ما يكفل له الحياة ، ويهيء له أسباب التداول ، ولكنها كانت حياة من نوع آخر يخالف تلك الحياة ، كانت حياة يغلب عليها التشابه والركود ، ويندر فيها التنويع والحركة ؛ لأن الأدباء يومئذ

أقزام مقلدون، ليس لهم من طول الباع، ورسوخ الملكة، وخصب الذهن، وبراعة الخيال حظ كبير، يقدرّون معه على التوليد والابتداع، فأقبلوا على آثار الأولين: يتكفون محاكاتها، ويعتسفون الأخذ على مثالها. ولما أعتيتهم المحاولة، ولم تسعدهم المواهب لم يجدوا بدا من استباحة هذه الآثار، ينتحلون منها ما شاء الله أن ينتحلوا بالسرقة والاقتباس والتضمين وحل المنظوم.

فالتمثل كما أسلفنا - قد لازم الأدب في حالي تقدمه وتقهره جميعا. وهو في العصر الحاضر قليل الذبوع لانكاد نراه في غير الموضوعات المدروسة، والمذكرات الفنية الجليلة. وأكثر ما يتمثل به في هذه وتلك آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث الرسول عليه السلام، وأقوال الثقات في شتى العلوم والفنون. أما الأمثال والحكم وما إليها فالتمثل الآن بها قليل، لا يكاد يعنى به ويحرص عليه إلا الشداة وقليل من غيرهم؛ لأهمال شأن الرواية، واندثار السوامر الأدبية التي كان يختلف إليها الأدباء أواخر القرن الماضي، وأوائل القرن الحاضر؛ للتندر بالطرائف الأدبية، والمطارحات الشعرية، بما اعترى المجتمع اليوم من أسباب التغير، وما استحدث فيه من وسائل اللهو والتسلية، التي لا صلة لها بالرواية إلا في القليل النادر. ثم إن الأدب لعهدنا الحاضر يتأثر الأدب الغربي في طريقة التفكير وأسلوب التعبير، فأصبح أكثر المعول في الإقناع، وعرض المذهب، ومحااجة الخصم على الآراء الفلسفية والبراهين المنطقية، تزجى في عبارة طبيعية، بعيدة من الشقشقة اللفظية، وزخرف البديع.

وقد يكون للتمثل بالشعر كل ما كان له من المقام الذي أنشئ فيه، من بلاغة التأثير، وقوة الأسر، لا ينقص منهما شيء. قال معاوية: اجعلوا الشعر

أكبر همكم . وأكثردأبكم . فلقد رأيتني ليلة الحرير^(١) بصفين ، وقد أتيت بفرس
أغر محجل ، بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الحرب لشدة البلوى ، فما
حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أبت لي همتي ، وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الريح
وإقحامى على المكروه نفسي وضربني هامة البطل المشيح^(٢)
وقولي كلما جشأت ، وجاشت مكانك ، تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمى بدد عن عرض صحيح^(٣)

بل ربما كان التمثيل بعض الأحيان أبلغ أثرا ، وأروع صورا ، وأعظم
نتائج ؛ لأن الكلام لا يؤثر ببراعة تأليفه ، وشرف معانيه ، ونصاعة بيانه
وحسب ، ولا يدل على معانيه بألفاظه وحدها ، لكن هناك وسائل أخرى
تشارك في التأثير والدلالة بنصيب غير قليل . هناك شخصية المتكلم ، وطريقة
أدائه ، ونغمات صوته ، وانسجام إيماءاته ، وتأثيره بموقفه ، والجو الذى يحيط
به . ولأمر ما كذا ذلك أثر الناس أن يخطبوا من قيام ، وعلى المنابر واستحسنوا
أن يكون الخطيب رابط الجأش ، قليل اللحظ ، جهير الصوت ، نظيف البزة
شريف النفس ، عاملا بما يقول .

لهذا ، قد تسمع البيت أو المقطعة من الشعر فى المناسبة التى أنشئت لها ،

(١) هى ليلة الجمعة عاشر صفر سنة ٣٧ هـ . وفيها استمر القتال شديدا بين جيوش على ومعاوية ،
ورفعت المصاحف فى غدها على روس الرماح من قبل أهل الشام طلبا للاحتكام إلى كتاب الله .
وسميت ليلة الحرير تشبيها لها بليلة اليوم الثالث من أيام حرب القادسية . ولم يمر على المسلمين موقعة أشد
هولا منها .

(٢) المقبل ، والمنازع لما وراء ظهره (٣) العمدة : ١ : ١٠

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ١ : ٩ ، وأمالى المرتضى : ١ : ٢٤ — ٢٨ .

فإذا الصورة التي توحىها إليك تافهة المناظر ، حائلة الألوان ، فطرة التأثير ، ثم يروى لك هذا البيت أو هذه المقطعة نفسها في مناسبة أخرى جامعة لأسباب التأثير ؛ فإذا بك ترى كأن الصورة غير الصورة ، وتمثل لك منها مناظر أشد عملا ، وأعمق أثرا . ومثل ذلك مثل النظرية العلمية أول عهدا بالظهور ، وأول عهد العلماء باصطناعها في شئون الحياة ، فهي يومئذ فكرة أولية ، محدودة النطاق ، يسيرة النتائج ، حتى إذا أتيح لها جهد آخر أمكن التوسع في تطبيق حقائقها . والتزويج في استخدام قضايها ، فإذا لها آثار ضخام ، ونتائج عجيبة لم تكن لها من قبل ، ولم يكن شئ منها يخطر ببال صاحبها .

هذا مثلا قول المتنبي :

فالحيل ، والليل ، والبيداء تعرقني والسيف ، والرمح ، والقرطاس ، والقلم
فهذا البيت فيما يروى الرواة — كان سبب قتل المتنبي . حدثوا أنه بينما كان عائدا من فارس عرض له في بعض الطريق جماعة من الحاقدين عليه ، يريدون الفتك به . فلما رأى المتنبي أن الغلبة عليه لاذ بالفرار ، لكن واحدا من أتباعه صاح به : لا يتحدث الناس أنك فررت ، وأنت القاتل : فالحيل ، والليل . البيت . فقال المتنبي : قتلني قتلك الله . وكر راجعا ، وما زال يقاثل حتى قتل (١) . فمن كان يظن قبل أن يقتل المتنبي على هذه الصورة — أن سيكون لهذا البيت شأن في قتله ؟ إن المتنبي ومعه الذين سمعوا البيت أو قرأوه ما كانوا ليصدقوا فيما أعتقد — أن سيكون لهذا البيت هذه النتيجة الفاجعة لو أنهم علموا نبأها قبل أن تقع . وهل هو إلا بيت نظمه الشاعر كإنظم كثيرا غيره ، وكما نظم الشعراء كثيرا مثله ، لمجرد الفخر الذي لا أصل له ، أو الذي يقوم على التهويل والمبالغة ؟ إنه عمل أشبه بعث الصناعة أقرب إلى الهزل منه إلى الجد ، فكيف يمكن أن يظن ظان أن سيصير وثيقة ملزمة ، يتقيد

(١) الصبح المنبى على هامش البيان : ١ : ٢٢٧ ، وفيات الأعيان : ١ : ٤٤

الشاعر بها ، وينزل على حكمها حين يذكره بها مذكر ، فيعدل عن الرأي الذي رآه ، واطمأن إلى أنه الضواب ، ويعود راجعا إلى القتال ، وإنه ليعلم علم اليقين أن العود إليه إقدام على الموت ، بما في ذلك مزية ولاخلاف . وإلا فما قوله لغلामه وهو يعود : قتلتنى قتلك الله ؟ لكنه (الإخراج) الذي أخرج عليه البيت في هذه القصة ، بعد أن هيأت الظروف ملائساته ، ورتبت مناظره ، وخلقت الجو الذي يكتبه .

وهذا أيضا قول معن بن أوس من قصيدته العتائية المشهورة :
إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكدر إليه بوجه آخر الدهر تقبل
فتحن من هذا البيت ، وفي ضوء المقام الذى قبلت القصيدة فيه — تجاه صديقين يختلفان فى المزية والطبع ، وفى أدب السلوك ومعاملة الأصدقاء ، ولكن قدر لهما مع ذلك أن يجتمعا حينما على المودة والوفاق ، فتصادقا وتصافيا ، كما يتصادق الناس ويتصافون ، ثم ضربت بينهما فوارق الخلاف ، فتناكرا وتدابرا ، كما يتناكر الناس ويتدابرون كذلك ، فوقف كلاهما من صاحبهما حينئذ بالمرقف الصريح الذى يقتضيه طبعه ، وتوحي به فلسفته فى الصداقة ، وتقديره لحقوق الأصدقاء وواجباتهم : هذا قاطع معرض ، لا يكاد يبقى على الصديق ، أو يحاول علاج ما فسد من وده . وذاك وصول متسامح ، لا يجزى على الجفوة بالجفوة حتى يبلى عذرا فى الاستصلاح والمعتبة . فهو لذلك يحاول ما وسعته الحيلة أن يجتذب إليه صاحبه بألوان من أسباب التواصل والمراجعة . وهو هنا فى هذا البيت صارم جاد ، يتهد وصديقه بفرقة الأبر ، وبالخصومة لارجعة فيها ، إذا هو لم يحاسب نفسه ، ويكفكف من غلواته .
هذه هى الصورة التى أراد معن أن يعرضها علينا فى هذا البيت ، وفى كنف القصيدة التى اقتطع منها . وهى ولاشك صورة مؤثرة ، فيها من براعة الفن ، وروعة التخيل ، وصدق التمثيل ، وإصابة الفكرة . ولكن أين هى من تلك

الصورة الهائلة ، التي تتمثل لنا من البيت نفسه ، حين نسمعه من خليفة عظيم ، أو نتخيل أننا نسمعه منه ، وهو يحبه به سيدة كريمة ، طالما استشفعت إليه فشفعت ، وأدلت فدلت ؟ نعم ، أين هي من تلك الصورة المفجعة ، تتمثل لنا في هذا البيت نفسه حين نسمع الرشيد ، أو نتخيل أننا نسمعه ، وهو يقذف به في وجه ظئره أم جعفر بن يحيى ، حين جاءته على الصورة التي وصفتها كتب الأدب : حاسرة حافية ، تريد أن تشفع عنده في زوجها يحيى ؟ إننا ولا شك نرى ونحس هنا غير ما كنا نرى ونحس هناك ، إننا هنا نرى العزة المهيضة ، والكرامة السلبية في جانب ، والجبروت القاهر ، والسطوة الباطشة في جانب آخر . هي تجمع شتاتها ، وتتوسل بأسبابها ، لعلها تهيج عاطفة همدت ، وتلين قسوة رانت ، إدلالا بجرمة سابقة ، واستجابة لداعى الوفاء والحب لبعلمها . وهو تجاهها ساخط متغضب ، بل حائر مرتبك ، لا يستطيع التلمص من ورطته ، ولا الإفاقة من غشيته ، ولا الإصاخة لغير صوت النقمة والإيقاع بمن خسر عطفه وثقته ، ولا يجد بدلا من دفعها عما تحاول ، فيقول لها فيما قال :

إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل
 فيفجما في رجائها فجعة ألينة ، ويمثل لها هول المصير الذي يترقبها ويترقب أسرتها معها تمثيلا قاسيا يمثل لها البطش المصمم ، والفتك الجائح الذريع ، يزهاق أرواحا غالية ، ويهدم جاها شائخا ، ويذهب بدنيا عريضة ، وعز مؤثلا منيع .

وبعد ، فإن الشعر كالشعراء : منه الذائع المدوى ، يتكرر دورانه على الألسنة ، وتشيع روايته في شتى الصور ، ومنه الخامل المغمور ، لا يرويه إلا القليل ، أو لا يكاد يرويه أحد . وبين هذين الطرفين درجات ومنازل ، هيئات أن تحصى . وليس كل مشهور مقدما ، ولا كل مغمور متخلفا ، فالتقدم من أسباب الشهرة ، لكنه ليس سببها الوحيد . والتخلف من أسباب الخمول ،

لكنه ليس سببه الوحيد كذلك . فهناك الحظ ومايتهنياً له من سعادة وعشار ،
وهناك الدعاية وحسن العرض أو الانقباض والإخلاد إلى اليأس ، ثم هناك
الشخصية المحبوبة الخفيفة الروح ، والشخصية البغيضة المسترذلة ، وهماك أسباب
وملابسات أخرى ، لها في تغيير قيمة الآثار الأدبية عمل غير مردود .
وربما اعتري الجيد العين بعض أسباب الخمول ، فإذا هوزائف أو كالفائف
لا يكاد يجد مجالاً للتداول والاستعمال . وقد يتاح للردى ، المتخلف أو
المتوسط المقارب بعض أسباب الذبوع ، فإذا له من الشهرة والإقبال أكثر
مما يستحق . على أن الخلود في النهاية لمستحق الخلود ، لا ظلم ولا محاباة ، فإن
الزمن صيرف نقاد لا يتفق الزيف لديه ، وحكم عدل لا يغبن ولا يجور . وإن
كان من ذلك شيء فيما يبدو للنظرة الأولى فإنما هو عارض إلى زوال ، بل محنة
إلى أجل محدود ، يختلف مداه بمقدار ما يتهيا لهذا أو ذاك من أسباب الرواج
أو الكساد الموقوت . حتى إذا انجابت الغاشية ، ولم يبق إلا المعدن خالصا
مجردا ، آل إلى مصيره الحق ، الذي أعدته له قيمته ، كما تريد صراحة الطبيعة ،
لا كما تريد أهواء الصناعة . وما أصدق قول الله تعالى : (فأما الزبد فيذهب
جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

وإذا كانت قيمة الشعر على مقدار حظه من الخلود ، وشيوع التداول ،
وعموم الإفادة ، فشعر المتنبي أرفع الشعر العربي قيمة ، وأفضله مزية . فمعارف
تاريخ الأدب العربي شعرا مثل شعره : نشأت روايته في الناس ، وكثر تمثلهم
به ، واقتباسهم منه ، واستفاض فضله على اللغة والأدب والثقافة ، بما أمدها به
من فيض كثير ، لا مقطوع ولا ممنوع ، من لدن حياته في القرن الرابع الهجري
إلى اليوم . قال الثعالبي ، وعصره من عصر المتنبي جد قريب ^(١) : فليست اليوم
مجالس الدرس بأعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا أقلام كتاب

(١) ولد الثعالبي سنة ٣٥٠ ، وتوفي سنة ٤٢٩ .

الرسائل أجرى به من ألبن الخطباء في المحافل ، ولالحون المغنين والقوالين .
أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين ^(١) . وقال ابن رشيق في العمدة :
وليس في المولدين أشهر اسما من الحسن أبي نواس ، ثم حبيب والبحترى .
ويقال إنهما أخلا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ، ثم يتبعهما في الاشتهار
ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين ،
وامرئ القيس في القدماء ، فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد أن يجهم أحد من
الناس . ثم جاء المتنبي فلاء الدنيا وشغل الناس ^(٢) .

نعم ، فقد فرض المتنبي شعره على الناس فرضا ، ودفعهم قسرا إلى مدارسته
والأخذ عنه في شتى الأغراض والمقاصد ، بالرغم من كثرة خصومه ، وتصدي
خاسديه لمحاربتة ، بما ألفوا من الرسائل والكتب في الغض من فضله ،
والإزراء بقيمة شعره ، وما دبروا له من المكائد ، وحاكوا حوله من الدسائس
خيما حل ، وبما أذاعوا عنه من النقائص ، وكالوا له من المطاعن في نسبه
وأسرته ، وفي نفسه وخلقه وكل ما يشين الطعن فيه . بل لعل هذه الحرب نفسها
كانت من أسباب شهرة الرجل ودلائل عظمتة ، فالحق لا يعدم أنصارا .
يتطوعون لتقرير مبادئه ، والدعوة إلى الاعتراف بها . ولهذا تجرد لأولئك
الخصوم طائفة من المعجبين به ، تعصبت له ، وحاولت ما أمكنها الجهد أن
تتلس له المعاذير في كل ما أخذ عليه ، وتوسطت طائفة أخرى بين هؤلاء
وهؤلاء ، تفاضل بين محاسنه ومساويه ، وتعدد ما له وما عليه . وليس لهذا
الاختلاف المثلث الأطراف عاقبة أقرب من الشهرة الواسعة ، ينالها الذي
وقع الخلاف عليه . وما أحسب أن المتنبي كان يستطيع أن يصنع لنفسه
أفضل مما صنع له هؤلاء الناس عن قصد أو غير قصد . ثم لماذا يختصم الناس

(١) أبو الطيب المتنبي : ص ٧ ، والصبح المنبى على مامش التبيان : ١ : ٢٧ .

(٢) العمدة : ١ : ٦٣ — ٦٤ .

في المتنبي هذا الاختصاص العنيف ، ويتفرقون في شعره على هذا النحو : بين متعصب عليه ، ومتعصب له ، ومتوسط بين هذا وذاك ؟ وهل كان يكون ذلك لو أن حاسديه لم يتوسموا فيه خطر الشأن ، ويترفعوا أن يجيئهم منه حدث جسيم ، يجب الجهاد لمقاومته والوقوف دون استفحاله ؟ وهل كان يكون ذلك أيضا لو أن أنصاره لم يقدرُوا أن السكوت عن نصرته سكوت عن اعتداء ظالم لا يجوز السكوت عنه ؟ هيئات . فالناس أكيس من أن يثيروا حربا كهذه إلا لخطب عظيم ، يكافئها وتكافئه .

لم يتل إذا خصوم المتنبي منه منالا أو بعبارة أصح - لقد أعانوه على بلوغ الأوج ، واستيفاء غاية الشهرة والمجد ، من حيث كانوا يحتسبون أنهم نازلون به أو مانعوه من المضي صعدا إلى وجهته .

وهكذا لا يرد الناس ما أراد الله . ومن يحاول التغيير من طبائع الأشياء . أو يطمع في صرف السنن عن وجوهها ، فإنما يحاول محالا ، ويطمع فيما لا مطمع فيه . ثم لا يلبث أن يرى الحرب التي يثيرها تنقلب هزيمة له ، وتمكيننا لسلطان الطبيعة القاهر ، ويستبين أنه كان يخدمها ، ويدل على مزاياها من حيث يظن أنه كان يقاومها ويواري من حقيقتها .

ولعل من المهم قبل أن نتحدث عن حظ شعر المتنبي من التمثيل أن نعرض صورة لما كان عليه شعره أول الأمر من كساد ، وما كان يعانيه هو من سوء الحال وهوان الشأن ، ثم نعرض صورة أخرى لما صار إليه شعره بعد ذلك من رواج وحسن تقدير ، وما صار إليه هو من رفاة العيش وجلالة القدر ، فسنرى من هذه وتلك مبلغ الفرق بين مبتدئه ومنتهاه ، ويتجلى لنا حينئذ مثال بليغ من أمثلة المجد الذاتي الأصيل ، الذي تستطيع العبقرية الفنية أن تقيمه للعصامين من أصحابها . إليك إذا بعض ما قال أيام شقائه .

إلى كم ذا التخلّف والتواني . وكم هذا التماذي في التماذي

وشغل النفس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد ؟

وقال :

لما أقمت بأنطاكية اختلفت إلى بالخبر الركبان في حلبا
فسرت نحيوك لا ألوى على أحد أحث راحلتى : الفقر والأدبا
إذاقى زمنى بلوى شرقت بها لو ذاقها لبكى ما عاش وانتجبا

وقال :

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا من بعد ما أنشبن في مخابيا ؟
أوحدثنى ، ووجدن حزنا واحدا متناها ، فجعلنه لى صاحبا
ونصبني غرض الرماة تصيبني نحن أحد من السيوف مضاربا
أظمتنى الدنيا ، فلما جثتها مستسقىا ، طرت على مصائبها
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش : فغدوت أمشى راكبا^(١)

ويروى أنه كان أول الأمر يطوف في أطراف الشام ، ويتنقل بين مدنه ،
يعرض شعره على الناس ، ويسألهم الأجر عليه ، صنيع التاجر المتقل ، يحمل
بضاعته ، ويطوف بها في البلاد هنا وهناك ، إلا أن مثل هذا التاجر يبيع سلعا
وصاحبنا كان يبيع نفاقا وملقا . وكانت العطايا التي يأخذها مع ذلك تافهة قليلة
الغناء ، لا تستحق السؤال ، ولا تعدل الجهد الذي كان يبذل فيها .

روى البغدادى أنه مدح بأقل من عشرة دراهم ، بل بأقل من خمسة^(٢) .
وروى ياقوت أن محمد بن زريق وصله بعشرة دراهم على قصيدته التي أولها :
هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنت ، وما شفيت نسيسا^(٣)

(١) الخوص : جمع خوصاء ، وهي الناقة الغائرة العينين من الاعباء . الدارش : نوع من الجلود .

يريد أنه بدل من خوص الركاب خفا - ود من ردى الجلود .

(٢) خزائن الأدب : ٢ : ٣٠٥ .

(٣) الرسييس : الشيء الثابت . ويريد به هنا الموى المستقر في قلبه . النسييس : بقية النفس .

فقال قائل : إن شعره لحسن . فقال : ما أدرى أجسن هو أم قبيح ،
ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم فكانت صلته عليها عشرين درهما (١) .
وهذا بعض ما قال أيام رخائه وإقبال الدنيا عليه . قال يصف ثيابا أهداها
إليه سيف الدولة :

ثياب كريم ما يصون حسانها إذا نشرت كان الهبات صوانها
ترينا صنائع الروم فيها ملوكها وتجلو علينا نقشها وقيانها
ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها فصورت الأشياء إلا زمانها
وما ادخرتها قدرة في مصور سوى أنها ما أنطقت حيوانها
وقال من قصيدة في مدح سيف الدولة أيضا :

ناديت مجدك في شعري وقد صدرا يا غير منتحل في غير منتحل
بالشرق والغرب أقوام نحبههم فطالعاهم ، وكونا أبلغ الرسل
وعرفاهم بأنى في مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول
ويقول الرواة : إن أبا الطيب لم يقدم على الرملة لمدح أميرها أبي محمد بن
طنج إلا بعد مراسلات أرسلها الأمير إليه ، قالوا وكان بالرملة إذ ذاك رجل
من الأشراف يسمى طاهر بن الحسين العلوي ، فرغب الأمير إلى أبي الطيب
أن يمدحه ، فاعتذر أبو الطيب ، وقال : ما قصدت سوى الأمير ، ولا أمدح
إلا إياه . ولما طالت مسألة الأمير ، واشتد إصرار الشاعر ، قال له الأمير :
كنت عزمتم أن أسألك قصيدة أخرى في مدحي ، فاعملها في مدح طاهر ،
وضمن له عنده مائة دينار ، فقبل . ولما كان الموعد قام أبو الطيب في جماعة
حتى دخلوا على طاهر ، وعنده جماعة من أشراف الناس ، فنزل طاهر عن
سريره ، وتلقى أبا الطيب ، وسلم عليه ، ثم أخذ بيده ، وأجلسه مكانه ، وجلس

(١) معجم الأدباء : ٥ : ٢٠٣ — ٢٠٤ بتصرف .

هو بين يديه ، حتى أنشده القصيدة (١) . ومطلعها :

أعياد اصباحي فهو عند الكواعب وردوا رقادي فهو لحظ الحبايب
وروى البديعي أن سيف الدولة كان يعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار
على ثلاث قصائد . وروى أيضا أنه لما ارتحل عن سيف الدولة مغاضبا له
طلب كائنور إلى واليها أن يحجب إليه الوفود على مصر وشهود حضرة الأمير .
ولما وصل إلى الرملة أكرم الوالي وفادته ، وأهدى إليه هدايا نفيسة ، ثم خلع
عليه ، وقلده سيفاً محلي ، وحمله على فرس بمركب ثقل . قالوا ولم يكن كافور
يثق أن المتنبي سيقدم عليه ، ويقبل أن يمدحه ، حتى بعد أن وصل إلى الرملة ،
ولذلك كان يقول لجلسائه وخاصة قلقا متوجسا : أترونه يبلغ الرملة
ولا يجيئنا (٢) ؟ كأنه كان يستعظم هذا الشرف ، ولا يصدق أن المتنبي يراه
له أهلا ، فهو لذلك يفرع إلى الملاء حوله ، يتلمس عندهم كلمة طيبة ، ترد عليه
نفسه ، وتدخل السكينة في قلبه .

ولما انقضت أيامه في مصر ، وفر إلى بغداد تكبر على أهلها ، وأبى أن
يمدح أحدا منهم ، فاعتم لذلك معز الدولة والوزير المهلب ، وتمنيا لو كان في
المملكة من يستطيع منازلته في ميدانه ، والنيل من كبريائه وغروره . وهنا
نقدم أبا علي الحاتمي ، وندع له الكلمة ، ليحدثنا عن موقف الشاعر من الأمير
والوزير ، وموقف هذين منه . وهو أحق من يحدثنا في هذا المقام ، لأنه كان
ذا صلة بالطرفين وهو الذي تولى مبارزة الشاعر في تلك المناظرة الرائعة التي
أثارها الحاتمي ، انتقاما منه ، وغضبا لكرامة بغداد . قال أبو علي : كان
أبو الطيب عند وروده مدينة السلام قد التفت برداء الكبر والعظمة ، يخيل
له أن العلم مقصور عليه ، وأن الشعر لا يعترف عذبه غيره ، ولا يقطف نوره

(١) التبيان : ٢ : ٣٥٠ ، ر : ١ : ٩٥ ، والصبح المنبى على هاشم التبيان : ٢ : ١٠٩ — ١١٣ .

(٢) الصبح المنبى : ١ : ١٠٩ — ١١٠ .

سواه ، ولا يرى أحدا إلا يرى لنفسه مزية عليه . حتى إذا تخيل أنه نسيج وحده ، وأنه مالك رق العلم دون غيره ، وثقات وطأته على أهل مدينة السلام ، وطأطأ كثير منهم رأسه ، وخفض جناحه ، واطمأن على التسليم جأشه ، وتخيّل أبو محمد المهلبى أنه لا يتمكن أحد من مساجلته ومقارعته ، ولا يقوم لمجادلته ، والتعلق بشيء من مطاعنه ، وساء معز الدولة أن يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ، ولم يكن بمملكته أحد يماثله فيما هو فيه ، ولا يساويه في منزلته ، يبدى لهم عواره ، ويخفى آثاره . . . فتوخيت أن يجمعنا مجلس ، أجرى أنا وإياه في مضماره ؛ ليعرف السابق من المسبوق ، فلما لم يتفق ذلك قصدت مجلسه . . . إلى أن قال : وتشاغلنا بقية يومى بشغل عنلى ، عن حضرة الوزير المهلبى ، وانتهى إليه الخبر ، فأتتني رسله ليلا ؛ فسرت إليه ، وقصصت عليه القصة بتمامها ، فحصل له من السرور والابتهاج بما جرى ، ما بعثه على مباكرة معز الدولة ، وأخبره بكل ما أخبرت به . وأخبرني الرئيس أبو القاسم محمد بن العباس أنه بمجرد دخوله على معز الدولة قال : أعلمت ما كان من أبى على الحاتمي والمتنبى ، فإنه شفى منه صدرا (١) .

بل لقد خرج الحق على المتنبى بالوزير المهلبى عما كان يحمل به من الترفع والرزانة ، ودفعه إلى تحريض الشعراء عليه ، وإغرائهم بهجائه ، لكن المتنبى أعرض عنهم ، وأبى أن يجيبهم ، استصغارا لأقدارهم ، وذهابا بنفسه عن مجاراتهم ولما قيل له فى ذلك قال : إني فرغت من إجابتهم بقولى لمن هو أرفع طبقة منهم فى الشعر :

أرى المتشاعرين عزوا بذى ومن ذا يحمد الداء العضالا ؟
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا (٢)

(١) الصبح المنى : ١ : ١٤٤ — ١٧٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١ : ١٧٦ .

وكان الصاحب بن عباد يطمع أن يزوره المتنبي بأصفان ، ويمدحه كما مدح
أكابر عصره . وكان الصاحب يومئذ لا يزال شابا ، ولم يكن استوزر بعد ،
فكتب إليه يستدعيه ، ويتلطف له ، ويَعِدُه أن يشاطره جميع ماله ، فلم يقم له
المتنبي وزنا ، ولم يجبه عن كتابه .

وكان ابن العميد يتتبع أخباره ، ويعرف أن الناس يتقربون إليه ،
ويغالون بمدائحهم ، وهو يتثاقل عنهم ، ويذهب بنفسه عن مدح الوزراء ، فلما
سمع أنه خرج من بغداد متوجها إلى فارس ، ساورته الوسوس وركبه الهم ؛
خشاة أن يصدف عن قصده ، ويعامله معاملة المهلبى (١) .
(للحدِيث بقية)

على النجدي ناصف
مفتش المعارف بالإسكندرية

تيسير اللغة العربية وتهذيبها

- ٢ -

للمؤلف: محمد علي الدسوقي

المبحث الخامس

في الوسائل التي تساعد على ضبط اللغة

من الأدوية الناجعة في تهذيب اللغة : التمثيل ، والخيالة (السينما) الناطقة
والصحف اليومية ، والمجلات ، والإعلانات ، ومرافعات المحامين
والخطابة ، والإذاعة اللاسلكية

التمثيل

التمثيل دروس شفوية تلقى على العامة والخاصة في المسارح فتعلق بأذهانهم
ويحافظونها في محادثاتهم ، فإذا كان التمثيل باللغة العربية الفصحى اقتبس منه
السامعون أحسن الأساليب وأمتن التراكيب التي تعوضهم عما فاتهم من الدروس
في المدارس ، فقد يكون الطالب منصرفا عن دروس الأدب العربي لما يعتوره
من نزق الشباب والتلهي عن الدرس بمحادثة الماجنين من الأصحاب ، ولكن
في حفلات التمثيل يكون كاه أذنا صاغية وقلبا واعيا ، فلا تفوته نادرة ولا
بادرة إلا اقتنصها ، لما في دور التمثيل من المناظر الخلابة ، وما يبدو في أفقها
من آنسات فائنات كالأنجم الزهر تبدو في أفق السماء ، فإذا نطقت نثرت الدر

من أفواها فشئت به الآذان، ورجال عليهم هبة الملوك وتيجانهم المرصعة بأنفس الجواهر، وأزياء الوزراء وأرباب الدولة، وأصحاب الصولة، فإذا نطقوا تلتق الأسماع كلامهم بلا استئذان، ووعت القلوب حكمهم وإرشاداتهم بلا مرأ، وبالجمل حدث عن فوائد التمثيل باللغة الفصحى ولا حرج.

ولكن مما يؤسف أن معظم التمثيل في مصر الآن رجع إلى الورا بخطى واسعة، بسبب ما طغى عليه من التمثيل الهزلى الذى يرضى العامة أكثر مما يرضى الخاصة، والعامة هى إلا كثرة العظمى فى الأمة، فلهذا اضطر أصحاب المسارح إلى إرضاء شهواتهم وضربوا بالتمثيل الرافى عرض الحائط لما رأوه من كساد بضاعته والانصراف عنه، فكلما كان التمثيل باللغة الدارجة، والأساليب العامة الساقطة، والنكت المضحكة، انصرف إليه الناس بكلياتهم وجزئياتهم، وهرعوا إليه على بكرة أبيهم ولو كانوا من الخاصة والادباء، لا انصرف كل إلى إرضاء شهواته، ولو كان فى ذلك القضاء المبرم على لغة بلاده. وقد دب التمثيل الهزلى ديب الداء فى الجسم حتى صارت الإجادة فى التمثيل تقدر بمقيار البراعة فى الخلاعة والرقاعة، فكم فيه من خليع وخليعة، ورقيع ورقية، وقد صارت الألفاظ التى تسترعى الإسماع، ألفاظ الساقطين والساقطات، من أبناء الأزقة والحارات. فإلى ذلك نلفت أنظار أولى الأمر لعلهم يتداركون اللغة والآداب، قبل أن يحيق بهما الدمار والخراب.

الخيالة (السينما)

تمتاز الخيالة عن التمثيل بأمور منها: أن الخيالة تمثل المناظر الطبيعية من جبال ووهاد، وأنهار وأحواش، وغابات وأسود ونمور وغيرها من مختلف الوحوش الأوايد التى لا يمكن إحضارها فى مسارح التمثيل. فضلا عما تمثله من الفجائع كالربواخر فى أثناء غرقها والدور فى أثناء احتراقها وإتقاد سكانها،

والوقائع الحربية التي تندك فيها الحصون ، وتصول فيها الجيوش الجرارة فتقع فيها الأبطال صرعى ما بين قتيل وجريح . وتحلق الطائرات أثناء انقضاضها كالنسور على فرائسها فتدمر القلاع والحصون . وقد تمثل أمورا تعد من المعجزات كالقفز من شاهق العمارات ، وتخطى النيران . ومصارعة الأسود ، والنور وغير ذلك من الخيالات التي لا يتصور العقل حدوثها ، ولكنهم يصلون إلى تصويرها بصور غير حيّة يُخيّل للناظر أنها أحياء .

فلماذا احتلت الصّور المتحركةُ المقام الأول بين أصناف الملاحى ، وصارت الشركات تصرف على أعداد مناظرها الآلاف بل عشرات الآف من الجنيهات ، فتأتى برج أوفر ، وتجوب مشارق الأرض ومغاربها متنقلة من مدينة إلى مدينة ، ومن قطر إلى قطر ، ومن قارة إلى أخرى ، وقد زادها روعة وبهاء ما أدخل عليها من الصّور الناطقة التي تمثل المغنين البارزين . والمغنيات البارعات ، وطبقات الممثلين والمثلات ومحاوراتهم مما جعل لها المقام الاسمى وصار التمثيل فى الدرجة الثانية بعد ما كان له المقام الأول .

والذى يغنيننا معشر المصريين من الصّور المتحركة الناطقة أن تكون أداة لتلقين الأمة اللغة الصحيحة سواء فى الأغاني أو المحاورات أو النصائح والإرشادات ، حتى تكون منهلا عذبا تستقى منه اللغة الفصحى ، فنضيف بذلك موردا آخر إلى جانب التمثيل الراقى . ولا شك أننا متى قطعنا شوطا بعيدا فى تهذيب التمثيل والخيالة أدبنا إلى اللغة العربية أجل خدمة . وسمونا بها إلى أرقى منزلة ، وما ذلك على حكومتنا وشعبنا المصرى بعزير .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشيد بذكر الروايات السينمائية التي أخرجها الأستاذ محمد عبدالوهاب والآنسة أم كلثوم فقد أدبا برواياتهما للأمة المصرية أجل خدمة وأبدعا فى الأغاني والإنشاد . ويمكن رجائنا إليهما أن تكون جميع أغانيهما ومحاوراتهما باللغة العربية الصحيحة ، حتى تستفيد اللغة العربية

من روايتهما أجل فائدة، وتكون لهما لسان صدق في الآخرين .
 وإننا لنقدم جزيل الشكر لشركة مصر السينمائية فقد أخرجت من
 الروايات ما يبهر الأبصار ويسترعى الأسماع وقد أجادت كل الإجادة في
 رواية مشاهد الحج ورواية (لاشين) وقدمت للغة العربية نماذج صحيحة من
 الخطب في مواقف الحج والمحاورات القيمة بين الملك والوزراء والقواد في
 رواية (لاشين) فجزاها الله عن حسن صنيعها هذا أحسن الجزاء .

الصحف والمجلات

الصحف اليومية والمجلات الشهيرة هي الأستاذ الملقن الذي عنه تأخذ
 العامة والخاصة المفردات والأساليب، فإن خلت مفرداتها من العجمة والابتذال
 وأساليبها من الضعف والركاكة، وانتقت أمتن المقالات أسلوبا، وأرقاها
 لغة، وأبعدها عن الحشو والتطويل . السُميل ، أدت إلى اللغة أجل خدمة
 وذلك أنها تجوب الآفاق، ولا يكاد يخلو منها منزل أو متجر أو مكتب أو
 معهد، فيقرؤها التاجر والزارع والصانع والطالب والطالبة، والسيد
 والسيدة، والعامل والعاملة، فيتلقون منها دروسا علمية وأدبية وأخبارا
 طريفة، وأحاديث شائعة فضلا عن الحوادث اليومية التي تحدث في أنحاء المعمورة
 وأخبار الدول القاصية، والأمم النائية بما تحمله من الرسائل البرقية، وكل
 هذا ينشر باللغة العربية الصحيحة ماعدا الإعلانات المختلفة فإنها تكون عادة
 بلغة أصحابها، وهم في الغالب لا يتحرون اللغة الصحيحة، بل يكتبونها بلغة
 محشوة بالآلغاز العامية والدخيلة .

فعلى أعلام التحرير في تلك الصحف أن تهذب من لغة هذه الإعلانات
 وتجعلها مطابقة للغة الفصحى، ولست مبالغا حين أقول : إنى أحصيت نحو
 عشرين كلمة عامية أو أعجمية في إعلان واحد . وإذا سألت أصحاب الجرائد
 أو المجلات عن هذه الأخطاء اعتذروا بأنهم لو كتبوها بالعربية الفصحى

لا تفهمها العامة ، فلا يحصل المقصود منها ، ويرد عليهم بأنهم يمكنهم أن يجمعوا بين الأمرين ؛ الإفادة وتصحيح الألفاظ بأن يكتبوا الكلمة باللغة الصحيحة ويضعوا بعدها اسمها العام بين قوسين ، ولكن يفوتهم ربح عظيم من تطويل الإعلانات بذكر الأسماء العربية بدون أن يتقاضوا عن الزيادة أجرا وهذا مخالف لدعائهم خدمة الأمة بتهذيب لغتها .

المجلات الهزلية

والداءُ العضالُ الذي يَنخَرُ في جسم اللغة العربية هو المجلات الهزلية التي تنهشُ الأعراضُ بألفاظ بذیئة ساقطة استدرارا لكسب القوت ممن يخشون بأسهم . فعلى قلم المطبوعات أن يضرب بيد من حديد على هذه المجلات ، ولا يصرح لأية مجلة أن تصدر بغیر العربية الفصحى التي تنطق بالفضائل ولا تنغمس في حماة الرذائل من قذف مقذع ، ونكت باردة تمجها الأسماع ، وتنبو عنها الطباع . فإذا سمعت وزارة الداخلية نداءنا حمدنا لها حسن صنيعها ، وقدمنا لها جزيل الشكر على تطهير اللغة من هذه الأدران . والأخلاق من هذه الأوضار .

مرافعات المحامين والخطابة

مرافعات المحامين أمام المحاكم الأهلية والشرعية خليط من العربية والعامية ماعدا مرافعات بعض المحامين المثقفين الذين اشتهروا بالبلاغة والبراعة وسلاسة الأسلوب وهم أفراد في مصر يعدون على الأصابع قد امتازوا بقوة العارضة وحضور البديهة مع بلاغة ساحرة . وفصاحة نادرة . وأمامهم في ذلك الزعيم الأكبر ، الخالد الذكر سعد زغلول باشا ، فقد عرفه الناس المحامي المدره ، والخطيب المفوه ، الذي إذا اعتلى المنبر أصغى إليه السكون . وإذا وقف أمام منصة القضاء سحر الألباب بفيض من البلاغة وسيل من الفصاحة ، فرحمه الله رحمة واسعة .

وللخطباء الآن في مصر وغيرها من الأقطار الشرقية شأن عظيم ، وقد نبغ من الخطباء في مصر أفذاذ نجباء ، سارت بخطبهم الركبان ، في كل مكان . ونخص منهم بالذكر المرحوم مصطفى كامل باشا رأس النهضة المصرية ، وخادم القضية الوطنية . فقد جابت خطبته الرنانة مشارق الأرض ومغاربها ، وقام يدافع عن القضية المصرية بهمة لا تعرف الكلل . وعزيمة لا تعرف الملالة ، حتى قضى نحبه في ريعان الشباب ، فبكته الامة المصرية بدموع سخينة وخلدت له جميل الذكر وحسن الاحدوثة .

الاذاعة اللاسلكية

للإذاعة اللاسلكية في مصر وغيرها من الأقطار المتقدمة شأن يذكر في نشر الاغاني والاختبار وإذاعة المحاضرات والخطب الرائعة ، فهي لسان ناطق ، وخطيب مصقع ، ومحاضر بارع ، ومغن ممتع ، وموسيقى مطرب ، ومعلم ماهر ، ورجاؤنا الحار إلى القائمين بها أن تتحرى الاغاني المهدبة ، وأن يكون المذيع حريصا على لغته من أن يشوبها لحن أو تحريف ، فهو المدرس الذي يلقي دروسه على الملايين من أبناء هذه اللغة ، ففواته تعد عليه . وعلى كل خطيب أو محاضر يقف أمام المذيع أن ينتقى أحسن الأساليب ، وأمتن التراكيب ، حتى يستوقف الأسماع ويأسر القلوب .

المبحث السادس

في تسهيل القراءة والكتابة باقتزال الشكل

صعوبة اللغة العربية على المتعربين كالمصريين وجميع الشرقيين ناشئة من صعوبة ضبط أواخر الكلام بالوسيلتين المعهودتين وهما القواعد النحوية والشكل .

أما الوسيلة الأولى وهى النحو فلا غنى للمتعرِّبين عنها مادام التلقين الصحيح غير ميسور الآن .

ولكن دلت التجارب على أن الإفراط فى تعليم القواعد، وحشو الأذهان بالكثير منها بدون مراعاة على موازنة الأساليب الصحية ، والاطلاع على نخبة صالحة من النظم والنثر مع الضبط والفهم، لا يُكسِبُ الطالب صحة بيان، ولا قوة خطابة، ولا صحيح إبانة عما يختلج فى ذهنه من المعانى، ولذلك عدلت وزارة المعارف عن إرهاق الطلاب بشئ القواعد، وعمدت إلى تثقيف الطلبة بكثرة المطالعة . والتدريب على أصح الأساليب وأروعها، باحتذاء المختارات من عيون النثر والشعر للفحول من الكتاب والشعراء المتقدمين والمتأخرين .

وأما الوسيلة الثانية وهى الشكل فكثرت توجب ارتباك القارىء لأنه يقع فوق الحروف لا بعدها فهو حروف مختصرة قد لا تقع موقعها لضيق المسافات فيضطرب القارىء ويقع فى الخطأ . أما فى اللغات الأوربية فيقوم مقام الشكل حروف غير مختصرة تقع بعد الحروف الأصلية فلا يصعب على القارىء النطق بها . فمثلاً كتابٌ بالتنوين مكون فى اللغة العربية من أربعة أحرف وأربع حركات وهى الكسرة والفتحة والضممتان . ولكن إذا كتبه بالإنكليزية أو الفرنسية تكون من سبعة أحرف فى الإنكليزية هكذا Klitabon ومن تسعة أحرف فى الفرنسية هكذا Klitabcenne .

فاللغة العربية أخصر اللغات وضعاً، لأن الكلمة فيها تشغل نصف المسافة التى تشغلها الكلمة الإنكليزية أو الفرنسية . لكن النطق بها أصعب فى العربية لوقوع الشكل فوق الحروف لا بعدها كما علمت .

وقد ارتأى بعض الباحثين أن تتبع طريق الأوربيين فى الكتابة بأن نضع بدل الشكل حروفاً بعد الكلمات فتكتب محمد مثلاً هكذا (موح ام ادن)

ولكن قامت في وجههم صعوبة وهي عدم التمييز بين حرف المد والحركات لأن حرف المد — وهي الألف والواو والياء — حروف أصلية ، وهي خلاف الضمة والفتحة والكسرة في النطق . وفي الحروف الفرنجية حروف مركبة أو مفردة تدل على حروف المد وحروف تدل على الحركات عندنا . au المركب من حرفين في الفرنسية يمثل واو المد عندنا ، وحرف ه يمثل الضمة عندنا بدون إشباع ، فما الذي يميز لنا الضمة التي على الياء في يكتب عن الواو في لم يكتبوا إذا كتبنا كلا منهما هكذا (ياكثوبو) .

فقالوا: يمكننا تلافي هذا الاشتباه بوضع حروف صغيرة للحركات تميزها عن حروف المد الأصلية فرد عليهم ذوو الرأي بأن هذا هو الشكل بعينه ، والذي أحدثتموه هو وضعه بعد الحروف لافوقها . ولكن فأنكم صعوبة أخرى موجبة للاشتباه والارتباك ، فضلا عما نخسرُه من الاختصار بضيق المسافات ، وهي أن الكاتب عند كتابة الكلمة مشتبكة الحروف لا يمكنه أن يضع مقدارا معيناً للحروف الدالة على الحركات والحروف الأصلية . فهل يمسك الكاتب قلبن مخنن ودقيق فيضع الحروف الأصلية بالاول والحروف الدالة على الحركات بالثاني ؟ فهذا الاقتراح مقضى عليه بالفشل ، وإن شئت فقل محكوم عليه بالموت قبل أن يولد . . .

ولما طال الزمن بعد أن احتدم الجدل بدون نتيجة بين المصلحين من أقطاب الأدباء في مصر ، فكّر صاحبُ المعالي محمد بهي الدين بركات باشا رئيس مجلس النواب السابق في عهد وزارته الثانية للعارف في السنة الماضية سنة ٢٨ في طريقة لاختزال الشكل بدون مساس بجوهر الحروف ، واستفزعهم الأدباء إلى هذا الموضوع على لسان المذيع فانشأت محاضرة في اختزال الشكل وعرضتها على إخواننا المفتشين وأساتذة دار العلوم ، فالت رضاءهم فطبعتها وعرضتها على معاليه ، فالت منه القبول ، وعنى المفتشان الأولان في

وزارة المعارف بهذا البحث وأصدرا منشورا به على الطريقة التي اتبعتها وهي:

(١) حذف الفتحات من جميع الحروف واعتبار كل حرف لم يشكل مفتوحا لأن الفتحة أكثر دورانا في الكلام حتى أني أخصيتها مع بقية الشكل في جميع أوزان الفعل فوجدتها تبلغ الثلثين وبقى الشكل يبلغ الثلث وقد وجدت هذه النسبة أيضا في حروف المعاني وكثير من النظم والنثر وساعدني على ذلك قول صاحب القاموس في مقدمته: وكل كلمته عرّيتها عن الضبط فهي بالفتح.

(٢) حذف الضمة والفتحة والكسرة قبل حروف المد وإثبات الفتحة إذا كان ما قبل الواو مفتوحا نحو بَوْرٌ^(١) منعاً للاشتباه بكلمة بُور على أن إسكان الواو يمنع من هذا الاشتباه.

(٣) حذف الفتحة من الهمزة التي ترسم ألفا اكتفاء بوضعها فوق الألف وحذف الكسرة منها إذا كانت مكسورة تحت الألف اكتفاء بوضعها تحت الألف نحو أخذ وسأل وإجابة.

(٤) حذف الضمة من الهمزة المرسومة على واو، والكسرة من الهمزة التي ترسم على ياء اكتفاء بصورتها نحو يؤم. ويئس.

(٥) حذف السكون والحركات من أواخر الجمل اكتفاء بقاعدة (لا يُوقفُ على متحرك).

وقد نُشرت المحاضرة التي أشرت إليها في العدد الثاني من صحيفة دار العلوم لهذه السنة فليرجع إليها من أراد التفصيل، والله الهادي إلى أقوم سبيل.

محمد علي الدسوقي

(١) البور بالفتح الأرض قبل أن تصلح للزراعة أو التي تجم سنة للزراعة من قابل كما في القاموس، والبور بالضم مصدر بار بمعنى ملك كما في المصباح.

فنون الأدب

للمؤلف: عبد الحميد حسن

(٢) (١)

غايات الأدب

هل نحن في حاجة إلى هذه الألوان التي يعرضها الأدباء والشعراء والكتاب من نثر ونظم في المدح والاستعطاف والفخر والحماسة والوصف ونحو ذلك من فنون القول التي يسرد لها علماء الأدب النماذج المختلفة؟ وماذا ينبغي للأدباء من وراء ما يقولون أو يسطرون؟ أم يقصدون إلى الترفيه عن أنفسهم وإرضاء ميول ونزعات فيهم وتلبية نداء قلبي أو حافز باطني أو ظاهري؟ أم هم يقصدون إلى إمتاع القارئ وتسلية به عرض الطرائف المعنوية أو بإرسال الأساليب البيانية والعبارات التي تنطوي على فنون من البلاغة ومظاهر من رائع التعبير وجيده؟ وهل الغاية التي يرمون إليها ذات صلة بالحياة أو بالفطرة الإنسانية وأتجاهاتها؟ وإذا لم تكن كذلك في بعض الأحوال أو أغلبها فماذا يجب أن تكون الغاية؟

هذا هو الذي نريد أن نعرض له لنعرف غاية الأدب وصلته بالحياة وبالنفس. وإن تحديد الغاية من الأدب يرسم لنا النهج واضحاً، ويرشدنا حين نتصدى للنقد الأدبي وللحكم على الأدب وفنونه وعلى الأدباء ومكانتهم وأثرهم.

(١) راجع المقال الأول في العدد الثاني من السنة السادسة

أشرنا في كلمتنا السابقة إلى أن الأدب ينبع من النفس ومظاهرها ومن البيئة بنوعها الطبيعية والاجتماعية ، ولنبسط هذا بعض البسط لعلنا نصل إلى ارتباط هذا الانتاج الأدبي بالحياة فيهدينا ذلك إلى أن نعرف الغاية التي اتجه إليها الأدب أو التي يجب أن يتجه إليها :

النفس الإنسانية ميدان تسرح فيه الخواطر وتبرز الفكر ، وتتموج أضواء من المشاعر وأشعة من الحقائق ، وتجول آمال يهيم الإنسان في شعابها ، وآلام هي مبعث الشكوى والحنين ، وفي البيئة التي تحيط بالإنسان من المعاني ما يسبح ساطعا يرتقب صفحة ينعكس عليها ، وما يهيم كالطائر يبحث عن وكر أو عش يستقر فيه ليفرخ ، وما يكمن هادئا وادعا ينتظر من يهدي الناس إليه ليزدادوا بالتعرف إليه استمتاعا بمعاني الحياة وطرائفها ، ولتزداد حياتهم نشاطا وجدة ، وفي المظاهر التي خلقها الله من رائع المعاني ما فيه غذاء للنفوس وحافز للمواهب وموقظ للهمم ، وفيها من جليل الحقائق ما كان له أعظم الشأن في بني الإنسان وماضيهم وحاضرهم ، ولا يزال في ثنایا هذا الكون من المعاني ما فيه بلاغ للفكرين .

هذا ينبوع المتدفق من المعاني التي تسبح في النفس وتزخر بها الحياة هو الذخر الذي تعيش به الإنسانية وتسير في ضوئه ، وهو الخيوط التي تنسج منها حياتنا ، وهو الذي يمتاز به الإنسان عن غيره من الكائنات ، وعلى قدر ماتنا نال نفسه من هذه المعاني تكون حياته سعة وضيقا وتموجا وركودا .

وهذه المعاني منها ما يتبع من دخيلة النفس ، ومنها ما يهبط عليها وحيه من البيئة ثم يصهر أو ينعكس أو يترعرع ويثمر ويتجلى للسامع أو الرائي عن طريق من طرق التعبير . وللنفس الإنسانية في جميع هذه الأحوال شأن في هذه المعاني ، فعنها تصدر ومنها تنبع ، وعن طريقها تملی الطبيعة وتوحى بالجديد ، ثم بصوغها الإنسان بطريقة من الطرق التي ألفها والتي جرت بها أساليب

الحياة كالتصوير والرسم والنقش والحفر والموسيقى واللغة ، وكلها وسائل فنية للتعبير ، فاذا صيغت هذه المعاني في صورة من أساليب اللغة فذلك هو الأدب . فالأدب إذن ينبع من النفس ويعبر عن نزعاتها ، ويصور ما يجول في نواحيها وما ينعكس على صفحاتها بما تمر به أو يمر بها من معاني الحياة وألوانها . ومعلوم أن للنفس مظاهر ثلاثة وهي الفكر والوجدان والإرادة ، وكل منها جولات في شتى نواحي الحياة ومقاصدها تتجلى فيها ألوان من الجمال وفنون من المعاني ودوافع إلى جليل الأعمال ونيلها ، وتوجيه إلى أقوم السبل في الفكر والعمل ، وتقد يرسم خير الطرق للإنسان ، وألوان من الجد والهزل والمرح والسرور والألم ، وحوادث عظام تهز قلب الإنسانية وتغير وجهتها ، إلى غير ذلك من الخواطر ومناحي الفكر وبواعث الخير ووجوه الجمال .

والأدب هو اللسان الناطق بكل هذا . ولعله مما لا يحتمل الشك أن الحياة لا تكون يانعة الجنى زاهرة مخضرة إذا خلت من كل هذه المعاني والألوان النفسية ، أو بعبارة أخرى إذا خلت من الأدب ، إذن خلت من قوة تعمربها القلوب ومن ضوء يشع في أرجاء المجتمع ، فالأدب هو باعث كل هذا أو هو الذي يصور لنا معاني الحياة وخلجات النفس .

نستطيع بعد كل هذا أن نقول إن غايات الأدب تلازم غايات الحياة في نبيل مقاصدها وجليل معانيها ، وتتصل بغايات الإنسان في تفكيره وعمله ومشاعره . فالأدب ملازم للحياة ولا غنى لها عنه ، ولا غنى له عنها . فالحياة تستضيء بالأدب وتلجأ إليه لإظهار الكامن من معانيها والاشادة بمظاهر جمالها ونواحي الخير فيها ، والأدب لا يتجلى إلا في معاني الحياة وفيما تنطوي عليه القلوب ، فالصلة وثيقة بين الأدب والحياة والفطرة الإنسانية ، والرابطة متينة بين غايات الأدب وغايات الحياة .

ولنعد إلى ما أشرنا إليه من المظاهر الثلاثة للشعور لتعرف غايتها وصلة

هذه الغاية بالغاية من الأدب ومن الحياة :

إن غاية الفكر هي تفهم ما في هذا العالم تفهما ناصعا سليما من الانحراف بعيدا عن الاعوجاج مرتكزا على الصواب والحق . ومجال الوجدان هو النواحي الحساسة من الحياة ومظاهر الكون وما فيها مما يبعث الإعجاب والسرور أو الاكتئاب والألم ، وما يثير الانفعال ويوقظ العواطف . وغايته هي الاهتداء إلى نواحي الروعة والجمال في الكون وفي تصرفات الإنسان وخلقه وسلوكه فما كان من هذا منسجما جميلا بعث الإعجاب والارتياح ، وما نبأ عن ذلك أثار اشمئزا وألما . وميدان الإرادة هي الأعمال التي يرغب الإنسان في عظامتها ويسعى لتحقيقها ، ويأنف من دنسها وحقيرتها ويعمل على اجتنابها ، وغايته في ذلك إذا حسنت طويته وصفت سريره إنما هي الخير .

فالغايات النبيلة والمثل العليا للإنسانية هي الحق والخير والجمال ، وهي غايات تسمو بالحياة ، وترسم لها أقوم السبل ، وإذا اتجه إليها الإنسان فقد سلك طريقا واضحا القصد نبيلًا . وإذا كان الأدب إنما ينبع من الحياة ومن النفس البشرية ، فإن الميادين التي ينبغي أن يحول فيها إنما هي ميادين هذه المثل العليا للحق والخير والجمال . والأديب هو أحد القادة الذين يحملون لواء التوجيه والإرشاد إلى هذه المقاصد العالية . وليس هو وحده الذي يقود الزمام ، فهناك رجال الفنون الأخرى كالموسيقى والتصوير ولهم في هذا الميدان جولة وأثر في توجيه الإنسانية في بعض النواحي ، وهناك من يعملون لهذه الغايات من طرق أخرى نظرية وعملية ، ولكن الأدب أو أدب اللغة يسير في هذا الميدان وعدته اللسان أو القلم ، وغايته أن يحفز إلى العمل ويصور محاسن الحياة فيرغب فيها العاملون ، ويظهر مساوئها للتنفير منها ومن يتصفون بها ، ويسن خير الخلال لتتجلى لمن ينشدون الخير ويبغرون المكارم . ولعل أبا تمام قصد شيئا من هذا حين قال :

ولولا خلال سنها الشعر مادي بغاة الندى من أين توتى المكارم

هذه هي الغايات التي تنشدتها الإنسانية وتأمل من الأدب أن يعاونها على تحقيقها والتنويه بها، وإن الأدباء لمن خير الأعوان في الاضطلاع بهذا إذا سلمت طوبتهم وسمت متمصدهم، أما إذا انحرفوا وهبطت نفوسهم فانهم يصبحون من أعوان الغواية وعوامل الشر والقيادة النابية عن الجادة، ولعل فريقا من هؤلاء هم الذين أشارت إليهم الآية الكريمة في قوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاؤون ». ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون .

وهذه الغايات الثلاث وهي الحق والخير والجمال قد تكون غير متعادلة في قسطها من اتجاه الأدب وفنونه وفي نصيبها من جهود الأدباء، فمن أنواع الأدب ما يبرز فيه الجمال والخيال، ولعل الشعر أوفى حظا في هذا من النثر، ومنها ما تتجلى فيه دواعي الخير والحث على جليل الأعمال، ومنها ما تصطبغ فيه دوافع الإقدام وتلتحم عوامل الشجاعة ظافرة، أو تبدو مظاهر الرهبة والإحجام متعثرة تتوارى من سوء ما يحيق بها أو تفر من ميدان الكفاح والدفاع.

وليس غريبا أن تختلف النفوس والبيئات في حظها من هذه الغايات بل إن الاختلاف هو السنة التي لا تبدل لها، فالمعلوم أن المظاهر الثلاثة للشعور وهي الفكر والوجدان والإرادة - وهي التي تتجه إلى الغايات التي نشير إليها - ليست متوازنة في جميع الأفراد، ولا تنمو بقدر واحد في جميع البيئات، فمن الأشخاص من غلبت عليهم ناحية منها فكان مثلهم الأعلى مركزا في فكر يرمي إلى الحق، أو في إرادة تميل إلى الخير، أو في وجدان يبحث عن الجمال في جميع مظاهره، ومنهم من كان حظهم في هذه النواحي جميعها ضئيلا أو منحرفا عن الطريق القويم، ومن البيئات ما يسمو بأحد هذه المظاهر أو

يهبط بها ، وهذا يصل بنا إلى أنواع من الأدباء يختلفون في اتجاههم وفي مثلهم العليا وفي حظهم من الإجابة ، وإلى فنون من الأدب تختلف قوة وضعفها ، ولهذا النتيجة شأن في المفاضلة بين فنون الأدب وفي الموازنة بين الأدباء . ولها أيضا صلة بمعايير الأدب ومقاييسه ، وسنعرض لهذا في فرصة أخرى . وحسبنا الآن أن نصل إلى النتيجة التي قصدنا إليها وهي أن الأدب يجب أن تكون له غاية نبيلة ، وأن هذه الغاية إنما تنبع من الغايات النبيلة للإنسان ومن المثل العليا للحياة .

فاذا ارتضينا هذه الغايات التي أشرنا إليها استطعنا أن نسير في ضوئها ونتخذ منها ميزانا للنقد ومعيارا للأدب بعد أن نتناولها بشيء من الإيضاح .

عبدالمجيد محمد

المطربون والمطربات

هم الطابور الخامس في مصر

لأستاذ سبر قطب

يغرد الطير حين تمتلئ حوصلته بالحب والماء، فيحس الشبع والرى، ويخلص من مطالب الضرورة، ويسلم من المرض، ويطمئن من الأذى، فيحلو له الغناء، لأنه في أحسن أوقاته وأروح لحظاته.

نعم إن تغريد الطير قد يكون نداء للأنثى، وتعبيرا عن فورة الجنس ولكن هذا لا يخلو من دلالة تؤيد ما نرمي إليه، فالطير لا يطلب أنثاه حتى يكون جسمه سليما من العلة المعوقة، بل لا يطلبها قبل أن تكون في جسمه فضلة من النشاط فائضة عن حاجة للقفز والطيران. فالغناء في هذه الحالة هو كذلك دليل الصحة والقوة، لا دليل الضعف والمرض.

ذاك في أمة الطير وكذلك في أمة الإنسان، فهو لا يركن إلى الغناء وفي جسمه أو نفسه عائق من العوائق، وركونه للغناء معناه أنه أشبع ضروراته كلها وتطلع إلى آفاق أسمى من قيود البدن فيكون حينئذ في خير لحظاته وأنشط خطراته.

وقد يكون الغناء في الإنسان كذلك طالبا للأنثى، أو تعبيرا عن الحب الذي يسمو عن مطالب الجنس ويتجاوزها. فيكون في الحالة الأولى دليل الصحة البدنية، ويكون في الحالة الثانية دليل الصحة البدنية والروحية جميعا. ذلك أن الإنسان لا يطلب الأنثى ولا يحب، حتى يصح جسمه وتصح روحه، وحتى تكون لديه بعد هذا وذلك فضلة من النشاط الفائض عن مطالب الضرورة والحاجة يتطلب إنسانا آخر يكافئه.

فهو - والحالة هذه - في أصح حالاته وأملئها بالحيوية والنشاط والتطلع، وليس في حالة ضعف وانزواء.

بيد أننا ابتلينا في مصر بصورة للحب لا تتفق مع صورته في الطبيعة سواء أكان نداء للبدن أم هتافا للروح، فإذا هو أولا: تعبير عن أحط النزعات الحيوانية في الإنسان، وإذا هو ثانيا: تصوير لهذه النزعات المنحطة في حالة ضعفها ومرضها وانحلالها، بحيث لا يرتقى للدلالة حتى على السلامة الحيوانية، التي يتمتع بها الطير والحيوان.

وإذا التعبير عن هذا الحب حشرجة وشهيق ودموع، وإذا التغنى به زفرات وآهات وأنين، وإذا نحن من هذا الغناء في مستشفى كبير تتردد فيه التأوهات، وصرعاه ما يكادون يفيقون من صرعة الداء الدفين.

وإنك لتحرك مشير المذيع إلى كل محطات العالم اللاسلكية فتسمع غناء وموسيقى تفهمها أو لا تفهمها، وتستريح إليهما أو لا تستريح، ولكنك تحس فيهما الصحة والسلامة. صحة البدن الحيوانية، أو صحة الروح الإنسانية. حتى إذا هبطت إلى مهر سمعت حشرجات المحتضر، وتأوهات الموضع، وتوسلات الذليل.

ولقد تكون صيحة الألم في بعض الحالات أدل على سلامة الفطرة وصدق الإحساس من نبرة الفرح، ونغمة الراحة، ولكنك في مصر لا تستمع إلى صيحة واحدة من صيحات الألم الصحيح في ذلك الغناء المريض. إنما هو تصنع الألم والتظاهر بالوجع. وإذا كان الألم الحقيقي محتملا - مع المضاضة - لأنه صادق، فالألم المصنوع أبغض شيء إلى النفوس.

وبعد فإنك تحار في تحديد التبعة في هذا الهبوط الذي نعانيه في الغناء والموسيقى: أتقع على عاتق المؤلف أو الملحن أم المغنى. والواقع أن الجميع

مستولون ، لأنهم - في الغالب - يجهلون مهمتهم ، ولا تهيب لهم ثقافتهم قيادة شعور الشعب ، وهي مهمة روحية واجتماعية لا يقوم بها إلا الأكفاء . فغالبية المؤلفين - حتى اليوم - من طبقة غير طبقة الشعراء الممتازين وهؤلاء لا يعرفون من العواطف الإنسانية إلا أسماءها وظواهرها وقلبا تخالج نفوسهم هذه العواطف التي يتكلفون التعبير عنها . وهذا وحده يكفي لسقوط الأغنية من ناحية التأليف . ولكن هؤلاء هم المقدمون عند المطربين والمطربات لقربهم من مستواهم الثقافي والنفسي ، وسرعة التفاهم بينهم لهذا السبب !

وقلما يطرق هؤلاء السادة إلا الغزل - والغزل على طريقتهم حشرة المحتضر ، وتأوهات المريض ، واستعطاف الذليل ولن يكون مرة واحدة ، فرحة الظافر ، ولا متعة الواجد ، ولا رجاء الوائق ، ولا ثورة الغاضب ، ولا فورة في الجسم أو الضمير .

فإذا تجاوزوه إلى الأغاني الحماسية ، تحت إلحاح النقاد وضغط الحوادث ، جاءت أغانيهم جافة كأنها رجم الحجارة ، لأنهم لا يستطيعون أن يحسوا فورة الشعور في فن من الفنون .

وطبقة الملحنين والموسيقيين عندنا لا ترتفع كثيرا عن طبقة المؤلفين المحترفين للأغاني والأناشيد ، ومرجع هذا إلى التسامح العجيب تجاه الملحن ، الذي لا يشترط فيه ثقافة عقلية ولا تجارب نفسية وحسب أي مخلوق كأننا من كان أن يتعلم السلم الموسيقي والمقامات والضروب ، وقليل أو كثيرا من « الهرموني » ليكون ملحنا أو موسيقيا كبتوه فن وموزارت !

ولست أدري لم لا نسمى كل من درس العروض شاعرا ، وأدوات الملحن في مصر لا تزيد على أدوات العروضي شيئا .

ومن هنا كان عمل الملحن هو التوفيق بين النغمات والأوزان ، يستوى عنده لحن الحزن ولحن الفرح إذا اتحدا في العروض !

وأعجب ما نسمع به للملحن ذلك الشيء الذى يقان له « تقاسيم » فماذا
تعنى هذه التقاسيم التى لاتعبر عن معنى خاص سوى التنعيم !

تصور شاعرا يجلس خمس دقائق مثلا ليسمعك على التوالى : « مستفعلن
فعل مستفعل فعل » أو « فعول مفاعلين فعول مفاعل » ! فهذا فى عالم الشعر يقابل
« التقاسيم » فى عالم الموسيقى . كلاهما أوزان لامعنى لها ولا حياة .

ويخيل إلى أن علة العلل فى فساد الغناء هو التلحين ، فقد أفلتت بعض
المقطوعات فى تأليفها من عيوب الضعف والتضع مثل « نشيد الجهاد »
وه « أغنية الجندول » ولكن الأولى خرجت من يد الملحن نواح مآتم مختلط
بالولولة والعويل . والثانية خرجت « مائعة » لا قوام لها ، ورجراجة لاتستطيع
إمساكها .

ولقد أفسد الملحنون فى مصر فطرة بعض المطربين والمطربات بتلحينهم
المتعارف « المائع » : فطربة مثل « اسمهان » كانت لها ميزة التعبير عن اللفظة
تحس فيها نداء الفطرة الحيوانية السليمة ، وهى ميزة تضطر أن نعتز بها فى هذا
الفقر المدقع مادامت سلامة الفطرة الإنسانية مطلبا خياليا فى عالم الغناء المصرى
ولكن التلحين الرخى ، والنغمات المتصنعة ذهبت أو كادت بهذه الميزة الفريدة
وأرجعت المطربة الحية المتفريزة إلى المستشفى الكبير الذى أقامه الملحنون !
ومطربة مثل « رئيسة عفيفى » تجيد الغناء الشعبى ، وفى روحها بساطة
الجمهور وخفته ، أغراها الملحنون بترك النغمات التى خلقت لها ، فذهبت إلى
المستشفى مع الأسف بعد أغنيتين اثنتين !

أما المغنى فهو ضحية التأليف والتلحين تارة ، وضحية الفطرة الممسوخة ،
والشخصية « المائعة » تارة ، وهو شريك أصيل للمؤلف والملحن فى الهبوط
بالغناء إلى هذا الدرك السحيق .

فإذا فرغنا من التأليف والتلحين والتغنى ، لم نفرغ من الأسباب الأصلية لتدهور الغناء ، فوراء هذا جميعه « ديموس » العظيم وراءه الجمهور الذى يستروح هذا الغناء ويحبه ويردده ، فبدل بهذا على عظم الكارثة ، ويشير إلى أن ممكن الداء أبعد من السطح المعروف ، وأنه ناخرواغل فى جسم الأمة إلى أبعد الحدود .

ولقد جلست إلى المذياع قريبا أستمع إلى « ما يطلبه المستمعون » فهالنى أن تكون كثرة ما يطلبون من أغانى الأفلام ، وهى أمراض الأغانى تأليفا وتلحينا وأداء .

هالنى هذا . فليست الكارثة أن يفسد ذوق المؤلف والملحن والمغنى ، ولكن الكارثة الحقيقية هى أن يفسد ذوق السامع لأنه هو الذى يملئ لهؤلاء جميعا فى التخنت الذميم . ولو صح ذوق الجمهور لأرغمهم جميعا على الصحة ، أو لنبذهم وترك الفرصة سائحة لغيرهم من الأصحاء . يظهرون .

ولقد هدتنى الملاحظة إلى شىء آخر ، وهوقوة الحاسة التجارية عند مطربينا ومطرباتنا ، فقد كانت تلبيتهم تامة للنوازع الهابطة فى النفس البشرية ، لأن هذه النوازع أشد وأقوى فى الجماهير ، فالرجح من ورائها أكثر وأضمن ، ولم يحاولوا مرة واحدة تلبية النوازع العالية لأنها أضعف فى نفوس الجماهير ، فالرجح ليس حينئذ بمضمون !

وأخيرا هانحن أولا . أمام الخطر فى حاجة إلى الصحة والسلامة فى النفوس وهذه الأغانى أخطر من « الطابور الخامس » فلا بد من علاج سريع مضمون وخير طريقة للعلاج فى نظرى ، تنظيم حملة قاسية واسعة النطاق لتهجين هذه الأغانى التى تسرى كالسم فى كيان الأمة وتسفيه الذوق السقيم الذى يملئها أو يتقبلها . وهذا الهدم يخلق فى النفوس قوة البناء فى التأليف والتلحين والغناء ويظهر الجو من الجراثيم التى تقتل الصحة والسلامة فى فطرة الجميع .

حلوان

سبر قطب

المروءة المقنعة

للمؤلف: محمد محمود غنيم

تعريف : المروءة المقنعة مسرحية تاريخية شعرية تقع في أربعة فصول حدثت وقائعها في أرض الجزيرة بالعراق أيام سليمان بن عبد الملك . تلخص في أن سرًا من سراة الرقة (خزيم بن بشر) ألقى بعد غنى حتى انقض من حوله أصحابه، فترامى خبره إلى والي الجزيرة (عكرمة الفياض) فذهب إليه متسكرا ووصله بصلة كبيرة دون أن يعرفه نفسه . ثم تشاء المقادير أن يعزل الخليفة عكرمة عن ولاية الجزيرة ويوليها خزيم . فيحاسب الثاني الأول فيجد عنده فضولا لا يستطيع أداها، فيزج به في السجن غير عالم أنه صاحب اليد الطولى عليه ثم ينجلي الأمر بعد ذلك فيبادر إلى إطلاق راحته معتذرا كما يجازيه الخليفة — وقد كان ترامى إليه خبره — أحسن جزاء .

وبلاحظ : « أولا » أننا جردنا الرواية من الغنم . الثاني حتى يتسنى لطلبة المدارس الثانوية تمثيلها « ثانيا » أننا نتصرف في الحوادث التاريخية بزيادة أو نقص أو تنعيم إلا بالمقدار الذي اضطررنا إليه على الغرض المنشود ولا يمس جوهر التاريخ .

أشخاص الرواية :

- | | |
|--|---|
| (١) عكرمة الفياض | والى الجزيرة من قبل سليمان |
| (٢) خزيم بن بشر | من سراة الرقة ووالى الجزيرة بعد عزل عكرمة |
| (٣) سليمان بن عبد الملك | أمير المؤمنين |
| (٤) أسامة | شخصية موضوعة ابن عكرمة |
| (٥) عمرو | » » مولى خزيم |
| (٦) قيس | » » عكرمة |
| (٧) سعد وسعيد | شخصيتان موضوعتان بطانة عكرمة |
| (٨) نسكرات مسرحية من حشم وخدم وشعراء ومغنين الخ | |

الفصل الأول

المنظر الأول

برفع الستار عن جو في منزل خزيمة بن بشر بالرقعة في أرض العراق يشتمل على أثاث عتيق بال
خزيمة نائم في غرفة متصلة بالبهو . الوقت قبيل الغروب . ليس بالبهو إلا الفلام عمرو

عمرو - يناجي نفسه: ويحيى وويح سيدى أزرى به ضيق اليد

أطال من رقاده لكنه لم يرقد
كيف ينام وهو طاوى البطن لم يزود
قد لزم البيت لزوم راهب لمعبد
ولم يكن عن الندى ولا الوغى بقعد
يا قصر كنت ملجأ رحبا لكل مجتد
يؤمه العافى فية تات به ويرتدى
لقد هوى الفقر بعا لى ركنك المشيد
لولا ح لى الفقر بوج به الكتيب الأسود
أذن أطحت رأسه بصارم مهنيد
كى يستريح الناس من هذا الشقاء الترمدى
ما أصعب البؤس على الحر الكريم المحتد
ما أقبح الأملاق به بد العز بعد السؤدد
ويحيى وويح سيدى أزرى به ضيق اليد

صوت من مخدع خزيمة : يا عمرو

ليك يا مولاي

عمرو

خذ يدي ويحيى صروف الليالى أو هنت جلدى

خزيمة :

عمرو - وهو ينهضه :

سلمت ياسيدى من كل نازلة أفديك بالنفس قبل الأهل والولد
خزيمة - وهو داخل المسرح :

لم يبق لى غير عمرو هو الجدير بشكرى
باق على العهد واف فى حال يسر وعسر
فوجهه وجه عبد وفعله فعل حر
كم من صديق وفى قد صد عنى لفقرى

عمرو : مولاي أبصرت عمارا وخارجة وخالدا ظهر هذا اليوم غادينا
مروا على بابنا مرا فما عطفوا ما بالهم حين مروا لا يعوجونا ؟
خزيمة : يا عمرو معذرة للقوم أن صدقوا لاتنس أنى لهم أصبحت مديونا
لاتنس أنهمو يا عمرو قد بسطوا بالمال أيديهم فى شدتى حيننا
واسوا أخاهم فلما استيسوا اخلصوا وذاك جهد الأخلاء الوفييننا
عمرو : مولاي إنك فى ضيق ومتربة لكن صحبتك فى النعماء يلهونا
دع هؤلاء وخذ من غيرهم فهمو ملء العراق كثير لا يعدونا
أمدد اليهم يداكم فاض نائلها كم يا خزيمة واسيت المساكيننا
خزيمة - منفعلا : حاشا يمد ابن بشر للسؤال يدا ولو تناول زقوما وغسلينا
عمرو - فى تباله

عفوا خزيمة اشفاق عليك محاشى رشدى فأصبحت يا مولاي مجنوننا
عمرو - بعد برهة :

مولاي إن كنت لاترضى بذلك إذن بعنى بعشرين فلسا أو ثلاثينا
خزيمة - منفعلا :

يا عمرو ويحك هل أصبحت تمقتنا فى الضيق هل أنت أيضا زاهد فىنا
عمرو - فى تباله :

كلا لعمرك . لم أقصد . يلوح على ملاحي أنني مازلت مجنونا
خزيمة : يا عمرو لا تذكر لنا الجنونا هون عليك الأمر كي يهونا
ماذا لديك اليوم من عشاء لي مدة ما أقتت غير الماء
عمرو : أعددت زادا طيبا شيبا هيا بنا إلى العشاء هيا
خزيمة : وما الذي أعددت يا عمرو ؟

عمرو : خبز وزيت دسم وتمر
خزيمة : من أين يا عمرو اشتريت الزيتا ؟ والتمر من أين به أتيتا ؟
عمرو : بعثت السراج سيدي بدرهم وقلت يكفيننا ضياء الأنجم
ثم اشتريت ذلك الطعاما ألت عبدًا حاذقا هماما
يهمان بتناول الطعام فيسمع طرق على الباب
خزيمة : طارق بالباب
عمرو - وهو يفتح : منذا يطرق

سائل : أنا مستجد فقير مملق
جئت أستجدى ابن بشر درهما أنه بحر العطايا
عمرو : من ترزق
السائل : لا تكن لحزا شحيحا يا قتي أن مولاك غمام مغدق
عمرو : سيدي ليس هنا

خزيمة : لا بل هنا حاضر . ويحك هلا تصدق
أعطه الزاد الذي هيأته

عمرو : في دهشة : سيدي نحن إليه أشوق
خزيمة - بلمحة الأمر : أعطه

عمرو - للسائل : خذ ثم انفسه :
خذ . ليت شعري ضلة أجواد سيدي أم أحق

السائل : لك شكري يا ابن بشر إنما أنت في الرقة بدر مشرق
عمرو - داقايدايد : أخذ الزاد وولى . ويحه ذاك والله بلاء مطبق
خزيمة - لعمرو بعد انصراف السائل :

ذاك يا عمرو فقير جائع فإذا لم يُعطَ زاداً يسرق
ماتعودت قديماً أن أرى منزلي في وجه عاف يغلق
يا إلهي لك أشكو علتى همة عليا وعيش ضيق

يسمع طرق بالباب :

عمرو - فى تأؤف : كثر الطارقون . من الباب

شاعر : شاعر مفلق رفيع الجنب ؛

جئت أطرى خزيمة بقصيد رائع صيغ من نضار مذاب
عمرو : سيدى ليس ها هنا

عمرو - بعد أن ينظر إلى سيده فى خوف

بل هنا ادخل

الشاعر : لك شكري يا أكرم الحجاب

يقف الشاعر أمام خزيمة وينشد :

يا ابن بشر إليك أجدو ركابي جئت أشكو إلى جناتك ما بي

لم أجد فى العراق مثلك سمحا أريحيا يعطى بغير حساب

أنت فى الرقة الخصبية نهر نرتوى منه ساعة الأجذاب

أن أقل أنت يا ابن بشر سحب فكأنى رفعت قدر السحاب

خزيمة - وقد كان لابسا جبتي يخلع أحدهما على الشاعر ويقول :

قد أجدت القريمن شكرا جزيلا قم تجلبب بذلك الجلباب

وإذا كان ما منحنا قليلا فاجعل العذر فى مكان الغتاب

الشاعر - وهو منصرف

هبة جزلة سألت ألهى لك يوم الحساب حسن الثواب

عمرو - لنفسه داقا بدا بيد

ما كفاه بذل الطعام فأمسى كلفا مغرما ببذل الثياب
خزيمة: أيا عمرو ويحك لا تعذُل متى ضاق عن طارق منزلى
سأصبر صبر الجواد الكريم إلى أن أرى غمرتى تنجلي
أرى الحر مثل الحسام إذا لم يقلب على النار لم يُصقل
فيا أحداثات الزمان هلى أنيخى بياني ولا ترحلى
لئن ألك أصبحت من غير مال فأنى بمالى لم أبخل
فكم قد أويت يتيها وكم قد غطفت على سائل مُعيل
إذا أنا أيسرت كنت الجواد وإن أنا أعسرت لم أسأل
إذا ساء يومى صبرت وطاب رجائى فى الزمن المقبل
إذا صدغى الأخلاء فالأر ض لم تخل من ماجد مفضل

طرق على الباب . عمرو يفتح ويقول :

من يدق الباب من ماذا جرى؟ سائل أم شاعر ياهل ترمجة؟

عمرو - بعد أن يرى عكرمة متكررا :

من أنت يا مولاي؟

عكرمة - وهو مقنع :

لست أدري أين الفتى خزيمة بن بشر؟

عمرو - لسيدته :

مولاي زائر خيف منظره أنخوف ما أخافى تنكره

خزيمة - يسير نحو عكرمة :

هل لك حاجة فأقضيها لك

عكرمة - ماذا يديه بصرة مال :

خذ هذه أصلح بها أحوالك

خزيمة - وهو يتأمل الصرة :

ما هذه أصلة أمال ؟ أنت لعمرى سيد مفضل
من أنت أيها الكريم المجزل

عكرمة : آسف . لا جواب عما تسأل

خزيمة : أقسمت لأقبلت ما منحتنا ألا إذا عرفتني من أنتا

عكرمة : خزيمة خطبك عز على وذاد عن العين طيب المنام

بربك لا تفسدن صنيعي بهتك الحجاب وكشف اللثام

إذارمت أن تعرف اسمي فإني أنا جابر عثرات الكرام

خزيمة : بربك يا صاح زدني بيانا

عكرمة : محال . ومنى عليك السلام

خزيمة - لعمر وبعد انصراف عكرمة :

يا عمرو أوقد السراج حالا حتى نعد هذه الأموال

عمرو : أين السراج هل نسيت أننا بعناه عصرنا واشترينا قوتنا؟

ثم يأخذ الصرة ويقول :

أنا أعد المال في الظلام عمرو غدا أبصر من حذام

أن بريق الذهب الوهاج يشق جوف كل ليل داج

يعد المال ويقول : ألف وألف ثم ألف متببعه من الدنانير بألف أربعه

خزيمة : من ذا الذي جاد بها يا للعجب ما سمعت بمثل ذلك العرب

عمرو - في فرح يخرج منه عن رشده :

مولاي هات اشتر الطعاما واشتر الكؤوس والمدا

سنا كل الخراف والنعاجا ونلبس البدمقس والديبا

يا للثراء والرخاء والغنى من أنا أنى لست أدري من أنا؟
 أنا سليمان أنا هشام قد خضع العراق لي والشام
 أنا أخو المنذر والنعمان لا بل أنا كسرى أنوشروا أن
 ستار

المنظر الثاني

يرفع السناد عن بهو في دار الإمارة بالجزيرة التي يحكمها عكرمة الفياض واليا من قبل سليمان بن عبد
 الملك في بهو الدار أسامة بن عكرمة وعند الباب الغلام قيس . الوقت بعد العشاء .

أسامه - لنفسه : رباه ما الذي حصل ؟ أين أبى أين رحل ؟
 أين تولى في الظلام م وحده على عجل ؟
 ما ذاك من عادته لا بد من أمر جليل
 قيس

نعم مولاي

قيس :

هل رأيت والدى

أسامه :

أجل

قيس :

إن الأمير سيدى صلى العشاء وانفصل
 شاهدته حين مضى بيرده قد اشتمل
 وفوق وجهه ورأى سه قناع انسدل
 ولست بامولاي أدري ما يميناه حمل ؟
 لكنه إلى خزانة النقود قد دخل
 ثم مضى فردا وما أخبرني على الأقل
 وددت لو أسأله عن سر ذلك العمل
 لكنني خشيت من هيبته فلم أسأل

- صبراً لعله يدعو بعد برهة
أسامة : لعل
- قيس - بعد أن ينظر بامعان نحو الباب :
أقبل أسامة أقبل أنعم النظرا ، ولاى عكرمة الفياض قد حضرا
أسامة - فى سرور ودهشة : حقاً أتى ؟
- قيس : أى وربى تلك مشيته ولم يزل مثلها قد كان مستترا
عكرمة - يدخل وهو فى تنكره : من هاهنا ؟
- أسامة : أنا أنا أسامة أبى أبى هل عدت بالسلامة
عكرمة : هل كنت فى حرب ؟
- أسامة : وأى حرب إنك يا أبى شغلت قلبى
عكرمة : الخطب سهل يا بنى فاطمئن
- أسامة : لا يا أبى فالأمر فوق ما تظن
بالله أين كنت فى جنح الدجى ؟
- عكرمة : بنى لا تترك أباك محرراً
أسامة : سلمت يا أبى من الإحراج هناك ما يدعو إلى اللجاج
أما علمت ما أصاب أمى ؟
- عكرمة : ويحك ما أصاب بنت عمى ؟
- أسامة : هيهات ما قر لها قرار والدمع فوق خدها مدرار
تقول فيم يخرج الأمير ؟ ليلا ومن ياهل ترى يزور ؟
- أزوجة أخرى يزور يا ترى ؟ لو لم يكن هذا لما تنكرا
إنك يا أبى شغلت بالها وإن تكن شكت فقد حق لها
- عكرمة : حسبك ما أبديت من أسباب ما كان هذا الأمر فى حسابى
عكرمة - للحاجب : يا أيها الحاجب قم ودعنى منفرداً هنيئة مع ابنى

عكرمة — بعد خروج الحاجب :

أسامة قل لأملك لن تراعى	فحقك ليس بالحق المضاع
خرجت وما خرجت لأجل إثم	فليس الإثم ويحك من طباعى
خرجت إلى مواساة ابن بشر	وليس لديه بر ملء صاع
كريم أخذت الدنيا عليه	فعضته بأنياب السباع
قد انقطع الفقى فسألت عنه	فقيل الفقر علة الانقطاع
فقممت إليه فى جنح الدياجى	وقد غطيت وجهى بالقناع
فألفيت ابن بشر وهو طاو	مع امرأة وأطفال جياع
خزيمة يشتكى جوعا وعريا	وعكرمة غريق فى المتاع ؟
علام إذن سليمان انتقانى	وولانى على تلك البقاع ؟
أنا والى الجزيرة كل مالى	ونفسى للجميع على المشاع
أسامة : أبى أقنعنى لكن ماذا	ذهبت إلى ابن بشر فى قناع
عكرمة : أأتركه يظن المالى دينا	فأثقل همه من غير داع ؟
على أنى أرى المعروف جهرا	شيبها بالرياء وبالحداغ
وما بذل الجميل من ابتغى من	وراء جميله أى انتفاع
وأنكر ساعة المعروف نفسى	وأنكر ما بذلت من المساعى
خشيت على خزيمة أن يرانى	فيشعر بالهوان والاتضاع
وطعم الذل عند الحر سم	زعاف دونه سم الأفاعى
أرى حمل الرواسى مستطاعا	وما حمل الجميل بمستطاع
أسامة : ألم يسأل عن اسمك ؟	
عكرمة : لم أجبه	إليه، وحين هم بالامتناع
كنيتُ بجابر العثرات نفسى	

أسامة : رعاك الله من شهم شجاع
 ستقنع يا أبي أمى بهذا إذا سمعته غاية الاقتناع
 عكرمة : أسامة قل لأملك ذاك سر
 أسامة : أبي ما كان سرك بالمذاع

ستار

ممنوع تمثيل الرواية بدون إذن المؤلف

محمود غنيم

مدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية

يتبع

الى الأمام

للمؤسّس عبد الرزاق إبراهيم صبيح

هذا هو عنوان الجيش المصرى المجيد التاريخ ، المشهور الأيام ، الذى هو معقد آمالنا وجامى ديارنا ، وآية مجدنا وفخرنا ، وقد استعار الأستاذ الفاضل زكى بك المهندس هذا العنوان علما على كتاب أخرجه للناس حديثا ، ووجه الخطاب فيه إلى شباب الوادى السعيد يستنهض عزائمهم ، ويستثير حميتهم . ويدعوهم بمجد وإخلاص إلى الكفاح والجلاد فى هذه الحياة الناشطة المسرعة الخطى ، التى لا تقف سيرها انتظارا لمتوان ، ولا تبطئ فى سيرها رفقا بالعجزة والضعفاء .

رأى أستاذنا أن الشباب هم رجال المستقبل فعليهم تبنى الأمة مجدها فى غد ، ومنهم قادتها فى الفكر والأدب والصناعة والتجارة بعد حين . وهم الآن أحوج ما يكونون إلى رأى رشيد ، وهداية إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ليحققوا الأمل ، وينهضوا بالبلاد نهضة مباركة ؟ لهذا رأى - وهو رجل علمته التجارب وهذبته الأيام - أنه يجب عليه أنه يخرج من حجرة الدراسة إلى دائرة أوسع منها فينصح كاتبها كما ينصح مدرسا . وأن يوجه أنظار الفتيان إلى المثال الأعلى ، ويبصرهم بالطريق إلى هذا المثال الذى يجب أن يقصد إلى تحقيقه الشباب جميعا لينفعوا بلادهم وأنفسهم وليخلد ذكرهم وذكر بلادهم مرة ثانية ، كما خلد من قبل بفضل الفراعين الشداد والعرب الأجداد الذين ورثنا حضارتهم وأرضهم وديارهم .

وقد تحدث الأستاذ الفاضل في كتابه حديثاً جامعاً شاملاً لكل ما يهم الشباب ، وما يجدر به أن يتجه إليه ، وما يليق به أن يفعله ، وما عليه أن يتركه ، وكان في أسلوبه متديقاً كمادته ، سهلاً في عبارته ، مترفقاً في نصيحته لطيفاً في عرض فكرته واضحاً في بيان مقصده ، يدعو إلى الهدى بالحكمة والموعظة الحسنة . ويضرب الأمثال من عظماء الرجال في الشرق والغرب ويقص من سير النابهين ما يحجب إلى الشباب العمل ، ويهون عليهم دراقى العلا ، ويفسح أمامهم الأمل .

وقد بدأ كتابه بعرض مختصر - ولكنه واف بالمراد - عن حياتنا الجديدة في القرن العشرين ، وما أحدثته الحرب الكبرى من تغيير في التفكير والصناعة والأخلاق ، وبخاصة في مصر ، ثم عقب على ذلك بأن حياتنا من صنع أيدينا وأنتا قادرون على أن تنتفع بما خلق الله في السموات والأرض كما انتفع آباؤنا وأن نسكر ما فيهما لسعادتنا كما شاء الله سبحانه أن يكون . إذ يقول جل شأنه « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ولا بد للنجاح في إخضاع القوى لإرادة الإنسان من ثمن غال ندفعه من وقتنا وصحتنا ومالنا ، ولا بد من المثابرة والاستمساك بالصبر وأن نكون عمليين لا خياليين ، وأن نؤدى واجبنا ونتقن عملنا مهما كان نوعه . ونتخلى عما يملأ رؤوسنا من أوهام وأباطيل ، فلا نحتقر عملاً ما ولا نركن إلى جاه . موروث ، أو مجد تالد . بل

« نبنى كما كانت أوائلنا . تبني وتفعل مثل ما فعلوا »

ولا يقعد بنا عن العمل فشل طارىء . أو حظ سيء . فكثيراً ما كانت الهزائم أول الانتصار ، وكم قى نال المجد والشهرة بما لاقى من عنات الحظ وسوء الطالع . فالعزائم القوية والنفوس الأبية لا تجعل للبأس عليها سلطاناً ، فهو يدعو إلى انتهاز الفرصة ، واستثمار الوقت ، والانتفاع بالمرأى في الحصول على المآرب ، والوصول إلى الغايات .

وما أجمل حديثه ونصحه « للطلاب اليأس » الذى ثابر على العمل ثم باء بالفشل ، ينصح له ألا ييأس ولا يبتئس ، ويدعوه إلى أن يستعين بالصبر وأن يحاول مرات . وما أخلق ذا الصبر أن يحظى بمطلبه . ويفوز بغايته . وكما تعلم القواد والتابغون بمثابة النملة التى لا يثنىها عن الغاية ما يصيبها من إخفاق فى قصتها المعروفة التى تتكرر كل يوم ، وتساق عند كل مناسبة ، دليلا على أثر المثابة فى النجاح .

« أما مدرسة البؤس والفاقة ، التى أخرجت للناس أبطالا من أمثال على مبارك ، وعبدالله فكرى ، ومحمود الفلكى ؛ وضعة النسب التى لم تؤثر فى عظمة أديسن وفردى ولا بلاس من كبار النفوس والآمال فقد خصها الأستاذ بعنايته ، وضرب أمثالا كثيرة بمن خرجتهم هذه المدارس من الخالدين لى يبعث فى نفوس الشباب أيا كان منبتهم اعتمادا على عملهم ، وثقة فى مستقبلهم ماداموا جادين طامحين ، وليبعد عنهم وساوس الشيطان التى تدعوهم إلى الانزواء ، أو احتقار الماضى ، وحدثنا أنه يعرف من هؤلاء عددا كبيرا يستخفون من الناس ، ويتجاهلون أيام بؤسهم وشقائهم ويابون أن يعرف الناس عنهم أنهم نشأوا فى بيئة فقيرة ، أو عاشوا عيشة خشنة فى أيامهم الأولى ولكن من يبتنا الآن من كبرت نفسه فافتخر بماضيه البائس . وطفولته المتواضعة ، ذلك هو الدكتور طه حسين بك الذى تحدث « فى الأيام » حديثا كله صراحة عن حياته وبيئته وأسرته ودراسته الأولى على ما فى ذلك كله من عيوب مشرقة ، وذلك مثال أذكره دليلا على أن من كبرت همته وسمت نفسه لا يرى فى الفقر . ولا بؤس العيش ، ولا رقة الحال فى الأيام الأولى من الحياة عيبا . وذلك هو ما يزيد الأستاذ المهندس بك .

والناس بأفعالهم وآثارهم لا بأحسابهم وأنسابهم عند الله والناس . ذلك مبدأ القرآن « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فمن ثقلت

موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون .

وما أعظم الأخلاق المتينة أثرا في نجاح المرء في الحياة ! وما أجدر الأفراد كلهم أن يسموا بأخلاقهم ويرتقوا بآدابهم وأفعالهم ، ويفخروا بتربيتهم وتهذيب نفوسهم و « إن التاريخ يحدثنا بما كان لذوى الخلق النبيل والشخصية القوية من الأثر العظيم في بناء الممالك وتكوين الأمم » ومن أولى بالذكر من النبي محمد ﷺ ؟ لقد مدحه الله جل شأنه . فلم يمدحه بالغنى أو القوة بل مدحه بعظمة الأخلاق فقال جل شأنه « وإنك لعلى خلق عظيم » . أليس ذلك دليلا عن أن عظمة النفوس وعظمة الشعوب من عظمة الأخلاق ؟

أما حديثه عن دين الشباب فحديث يتجلى فيه الإيمان الصادق بما للدين من أثر في سعادة الناس أفرادا وجماعات . ويتجلى فيه الاعتقاد الراسخ بما كان للأديان من أثر في رقى الأمم روحيا وأديا وفنيا ، فقد هذبت الأديان النفوس التى استمسكت بها ، وأوحت إلى عقول المؤمنين بأسمى الأفكار ، وأروع آيات البيان وأثرت حتى في الفنون الجميلة وبخاصة العبارة .

ولم ينس أن يُعَرِّضَ بأولئك المارقين الذين يحاولون إفساد النفوس وإضعاف أثر الأديان بدعاويهم الخلابية المظهر من قولهم « إن الدين أمر شخصي لا صلة له بحياة الإنسان العامة » ويرد عليهم ردا قويا مبينا يدحض فيه حججهم بالمنطق وبالأمثال . ويخص الدين الإسلامى بما هو جدير به من مدح وتمجيد لما له من فضل في تكوين العقل والأخلاق .

ويخص من أحكام الدين بالذكر الرق وقطع يد السارق والجلد أو الرجم في الزنا ، ويدافع عن هذا كله دفاعا مجيدا . غير أنى أود أن أرد شبهة قد تعرض لمن يقرأ حديث الأستاذ الفاضل عن الرق في صفحة ٥١ من الكتاب فهو يقول « إن الدين الإسلامى لم يخلق الرق ولا فرضه على العالم ، فما كان

لامرىء أن يستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، وإنما تناول الرق كما وجده ، تناوله بكل ضروب العطف والرعاية ، حقا إن الإسلام جاء والرق موجود ، ولكن إقراره له إقرار بصلاحه ، وإن هذا يدعونا إلى أن نقول : لو لم يكن الرق موجودا لا بتدعه الإسلام . مادام الاسترقاق مبدأ مقررا في الدين القويم ، وذلك لأن من الناس من وضع نفسه موضعا لا يليق بمن يقدر إنسانيته أن ينزل إليه . فحارب الهدى وكفر بالحق ، وألقى عقله الذى ميزه الله به على الحيوان ، فمن الواجب استرقاق هذا فأقرار الإسلام للرق لا يتوقف على وجوده أو عدم وجوده بل هو مبنى على أنه مبدأ صالح لبعض النفوس . وأنه ضرورة من ضرورات الاجتماع .

وعلى الرغم من أن الأستاذ زكى بك مدنى قاهرى زاه يهتم بالريف ويقول « يجب أن يكون الريف موطن تفكيرنا وعنايتنا » ويرى أن ما بذل فى سبيل الفلاح قليل جدا ، وأن تعليمه مع إهمال صحته لا يفيد شيئا .

وهو على حق فيما يرى فأغلبية المملكة المصرية فلاحون ، وهم بائسون حقا ، صحتهم معتلة ، وغذاؤهم ناقص ، ومساكنهم أشبه بالقبور ، وأجورهم لا تكفى لطعامهم ، وأمراضهم متعددة الأسماء والأفعال ، وهم فى حاجة إلى العناية الجبارة والجهد المتواصل ليقوموا بخدمة البلاد فى السلم والحرب ، فهم عدتها فى الحالين ، وهم أحق بالرعاية والإصلاح من أى مشروع آخر فى البلاد ولم ينس الأستاذ الفاضل صناعته . فهو أستاذ التربية بدار العلوم . ولهذا وجه بعض عنايته إلى عيوب المدرسة والامتحانات والاستظهار دون الفهم ، والفهم دون التطبيق ، والثرثرة التى لا يعقها عمل منتج وأخذ على الشبان ما خلفته الثورة فيهم من ميل إلى الخروج على النظام .

وكنيت أود أن أراه يعالج خروج الفتیان على ما يجدر بالرجل أن يفعل كالتخنث والتزين بزينة النساء واللهو الآثم ويصارحهم بعيوبهم فى هذه الناحية

فهم في حاجة إلى مثل أسلوبه الساحر القوى وخبرته الواسعة بالغرائز ودراسته لعلاج أمراض الشباب .

وبعد فلم ترك الأستاذ الفاضل الحديث عن الفتيات حديثا خاصا في فصل خاص أو فصول ؟ إنهن في حاجة ماسة إلى التوجيه والإرشاد وإلى ما ينبغي أن يفعلن ويتركن ، وما يجدر بهن أن يشتغلن به ويقمن بعمله في البيت وخارج البيت ولعله يفعل إن شاء الله في الطبعة الثانية .

أما الطبع فهو جميل ، والكتاب يكاد يخلو من الخطأ ولكن القارىء الذى يود أن يصحب هذا الكتاب في نزحته ، ويأنس بقراءته في أوقات فراغه يجد كبره وطول صفحانه مانعا من ذلك ، فالصفحة الكثيرة السطور الصغيرة الحروف كثيرا ما تصرف القارىء أو تضجره . ولو أن الكتاب ظهر في صفحات أقل من هذه طولا - ثلث الطول الحالى - لكان أكبر حجما ، وأخف حملا ، وأحب شكلا ، وفى ذلك كله ما يضاعف عدد قرائه .

فهل يتفضل الأستاذ المفضل بعظيم الشكر على هديته ، والتهنئة على توفيقه - على الرغم من هذه الملاحظات - فى اختيار موضوع الكتاب ومعالجة أبوابه واستيفاء كل نقطة من نقطه . وإليه أطيب التحية .

عبد الرزاق إبراهيم حميدة

خالد بن برمك

للمؤلف محمد أحمد برانس

يدور على ألسنة الأدباء والمؤرخين كثيرا ذكر البرامكة ، لما كان لهم من عظيم الأثر في توجيه السياسة الإسلامية حقبة من الزمان ؛ فهم الذين كانوا يقومون بتدبير شئون الدولة في عصر يعتبره بعض المؤرخين أنضر العصور الإسلامية وأزهاها حتى قصرت يد الرشيد عن النظر في أمور الرعية ، وحتى كاد أن لا يكون مطلق اليد في شئونه الخاصة ، وهم الذين أغدقوا على الشعراء أبواق ذلك الزمان ، فبسط هؤلاء ألسنتهم بمدحهم ، وأشادوا بذكورهم ، لما نالوا من جزيل عطاياهم ، وهم الذين قربوا إليهم العلماء ، فباحثوهم ، وتناقشوا في مجالسهم ، وهم الذين كان يخشاهم كبار ساسة زمانهم حتى قبل أن تكون مقاليد الأمور في أيديهم ، فدبروا لهم المكائد . وسعوا عليهم عند الخلفاء ، وكانوا يحاولون أن يحملوهم على كراههم بما يلقون لهم من زور وبهتان ، ولكن الباطل ليس له يدان ولا رجلان ، فكان الله ينقذهم ، وإن تصرفهم في أمر هذه الدولة دل على أن فيهم ذكاء . وفطنة ، وقدرة على الاضطلاع بأعباء المصلحة من الأمور .

هؤلاء القوم نكبهم الرشيد بعد أن خاف أن يزول عنه سلطانه ، وخشى أن تصير الخلافة الإسلامية الحربية ملكا كسرويا قد يكون فيه بعد ذلك خطر على العقيدة الإسلامية ، فقتل من قتل ، وسجن من سجن ، واستصدر أموالا

وأيم نساء، وعقد ألسنة الشعراء، حتى لا يبسطوا ألسنتهم في رثائهم، فكانت هذه النكبة من الحوادث التاريخية الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، لأنهم لو لم يعجل بهم الرشيد لكان الأمر في المدة الباقية من أيامه وفي أيام خلفه غير ما كان، ولكانت معرفتنا، بتاريخ الدولة الإسلامية غير ما عرفنا ولذلك ترى اسم الرشيد مقرونا باسم البرامكة، واسم البرامكة مقرونا باسم الرشيد؛ وكثير من الناس يرددون أسماءهم، ولا يعرفون عنها أكثر من أنها أسماء برمكية، كما لا يعرفون عن نكبتهم أكثر من أن الرشيد قتل وسجن وعذب وخرب البيوت، وأخذ الأموال، وأرمل النساء، ويتم الأطفال، ولم تنفع شفاعة الشافعين، ولا استرضاعه فيهم أيام كان رضيعا،

واتصال البرمكيين بالاسلام كان قبل عهد الرشيد، ولعله نشأ في أواخر دولة بني أمية حيث كان خالد بن برمك يعمل في جيش قحطبة بن شبيب، فيتقلد خراج ما يفتحه الجيش من البلاد، ويتولى الغنائم، ويقسمها بين الجنود، وكان يجتهد أن يكون عادلا في توزيع الغنائم، فأرضى جميع أهل خراسان، حتى قيل: ما من أحد من أهل خراسان إلا وللخالد عليه يدٌ ومنّة، لأنه قسط الخراج فأحسن فيه إلى أهله.

ولم يكن خالد مع ابن قحطبة يتولى الخراج فحسب، ولكنه كان ذارأى مطاع لخبرته وفطنته وذكائه. حدثوا أنه كان يوما مع قحطبة بن شبيب على سطح قرية من القرى التي استولى عليها، وكانوا يتغذون، فنظر خالد فرأى أقاطيع الوحش من الظباء والبقر أقبلت نافرة، وخالطت العسكر، فلما رآها فعلت ذلك، وطبعها أن تنفر من العسكر، علم أنها لم تخالطه إلا لشيء وراءها أعظم مما دخلت فيه، فبادر إلى قحطبة أمير الجيش، وقال: يا أيها الأمير، قد أتينا، وجيوش العدو قريبة منا، فمُر! من ينادى بالسلاح، فعجب قحطبة من فطنته وذكائه، وأمره بالنداء في العسكر ففعل، ولم يرض إلا قليل حتى كان

ابن حنبارة وجيشه وفدوا عليهم، وكانت بينهم حرب انتهت بقتل ابن حنبارة، وأرسل قحطبة برأس إلى أبي مسلم ظنا منه أنها رأس ابن حنبارة، ولكنه لم يلبث أن تعرّف على رأس ابن حنبارة بنقش خاتمه، فلما هم أن يرسله إلى أبي مسلم بدل الرأس الأول، منعه خالد بصحة رأيه لأنه إن فعل ذلك أبطل الأول والثاني، أي أن أبا مسلم يشك في الرأس المرسل إليه أولا وثانيا. ويعرف أن قحطبة لا يتثبت من أمره قبل أن يفعل ما يفعل. ويوم ابن حنبارة هذا هو الذي وصفه خالد المهدي بأنهم لما صاqqهم القوم خفقت ألويتهم بالنصر، وقذف الله في قلوب أعدائهم الرعب، وهبت ريح الغلبة، فلم يمض إلا قليل حتى انجلى الأمر لهم بالنصر فكان منهم لله حمد وشكر فعجب المهدي لإحسانه وإيجازه.

كان لخالد شأن في تلك الحروب، فهو نافذ البصيرة، فيه ذكاء وفطنة وكياسة، واتتمت الحروب بالتضاء على بني أمية، واستتمام الأمر لأبي العباس السفاح، فذهب خالد إليه ليكون في جملة من يبايعونه بالخلافة، فرأى فيه فصاحة توهم سامعه أنه من العرب، فسأله عن الرجل؟، فقال: مولاك خالد بن برمك وتحدث إليه ببعض شأنه ثم قال: وأنا الكميث بن زيد:

فما لي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مذهب الحق مذهب

فأعجب به السفاح، وأقره على ما كان تحت يده من الغنائم، ثم قلده ديوان الخراج، وديوان الجند، وهو أول من جعل تدوين ما يثبت فيها في دفاتر بدل الصحف، وجعل للعمل نظاما مرسوما، يسهل به إنجاز الأعمال، وييسر الرجوع إليها

ولما رأى أبو العباس ما فيه من فطنة وذكاء، وما هو عليه من إخلاص في العمل وكفاية له - رخصه به، وألحقه بمجلسه، وأحله محل الوزير، وكانت

له عنده منزلة خاصة ، حتى أن ربيعة بنت أبي العباس رَضعت من زوجة خالد وأُم سلمة زوجة السفاح أَرْضعت أم يحيى بنت خالد ، ولقد تبسط معه يوما في الحديث فقال : لم ترض يا ابن برمك حتى استعبدتني ، فانزعج خالد من ذلك ووجم ، وقال : أنا عبد أمير المؤمنين ، فقال أبو العباس : كانت ربيعة وأُم يحيى في فراش واحد ، فتكشفتا ، فرددت عليها اللجاف ، فقبل يده وشكر له . وظل خالد على منزلته تلك عند أبي العباس حتى كان يستشيرَه فيما جل من الأمور ، ويشكر إليه همه ، ويثنه حزنه ، ويعمل بتدبيره ، وقد كان خالد حازم الرأي ، بعيد النظر ، مخلصا للخليفة ، متفانيا في خدمته ، وقد شكَا إليه الخليفة يوما أنه يخشى نفوذ أبي مسلم الخراساني ، فإن له في نفر من الجند منزلة عظيمة ، يهابونه ، ويخشونه ، ويأتمرون بأمره ، وينتهون عند نهيه ، فلم تعزب الحيلة عن ذهن خالد ، ولم يعز عليه أن يشير على الخليفة برأى فيه تشكيك للجند في أبي مسلم ، وخط لمكانته وخضد لشوكته ، وقلَّ لغيره ، وتوَّهين لقوته ، أشار عليه أن يأمر أبا مسلم بعرض الجند ، وإسقاط من لم يكن من أهل خراسان منهم ، ففعل أبو مسلم ذلك ، من غير أن يفطن للأمر ، وجلس للعرض في أول يوم وأسقط جندا كثيرا ليسوا من أهل خراسان ، ثم جلس في اليوم الثاني ، وفعل ما فعل في اليوم الأول ، ثم جلس في اليوم الثالث فدعا بالناس فلم يقيم أحد ، فدعا ثانية فلم يقيم أحد فدعا ثالثة فلم يقيم أحد ، ثم قام إليه رجل فقال : علام تسقط الناس أيها الرجل منذ ثلاث ؟ . فأجابه أبو مسلم : أسقط من لم يكن من أهل خراسان ، قال : فابدأ بنفسك ، فإنك من أهل أصبهان وقد دخلت في أهل خراسان .

وهنا فقط تنبه أبو مسلم ، وفطن لما أريد به ، وعلم أن هذه حيلة حيك لتنفير الجند منه ، وقال : هذا أمر أحكم بليل ، تحسبك من شر سماعه .
وبهذه الحيلة استطاع الخليفة أن يسيء العلاقة بين الجند وبين أبي مسلم ،

أو أن يجعلها تفر على الأقل ، حتى لا تكون هيئة الجيوش إياه مصدر خوف وانزعاج له في كل وقت .

مات أبو العباس السفاح وتولى أمر المسلمين من بعده أخوه أبو جعفر المنصور ، ولم يبق حظ خالد مع أبي جعفر مثل حظه مع السفاح ، فإن أبا جعفر عزله عن الخراج ، وصرفه عن الديوان ، وولاه فارس ، فأقام بها سنين وكان أبو أيوب يخشى على نفسه أن يزيله خالد عن مركزه ، وكان يتخوفه على مجلسه لما فيه من الفضل ، فيصرفه المنصور عن الديوان ، ولذلك كان لا يألو جهدا في السعي على خالد عند المنصور ، ويحضه على مكروهه ، ويبغضه إليه ، ويصوره له في صورة الماكر المخادع الخائن ؛ ليضعف محله عند المنصور ، ويسقط من عينه ، فتأثر المنصور بكلام وزيره أبي أيوب ، ونكب خالدا ، وألزمه أن يدفع لبيت المال مالا كثيرا لا قبل له به ، فاعتذر خالد للمنصور ، فلم يقبل عذره ، وأبى إلا أن يدفع المال ، فقدم بعض من يؤمنون بأمانة خالد ونزاهته المساعدة إليه ، وحمل كل منهم قطعة من ماله أو جواهره إليه ، وكان ممن ساعده أم الرشيد ، لأن خالدا كان أباه رضاعا ؛ فلما علم أبو جعفر أن أصدقاء خالد يساعدونه بالمال — أعفاه من الدفع ، إذ تحقق لديه أنه لا يملك ما حكم به عليه .

ولكن أبا أيوب لم يطمئن قلبه إلى ما فعل المنصور مع خالد ، وأبى إلا أن يزيد في إيغار صدره من ناحية أبي جعفر ، فجاء بجهنم نصراني ، ودفع إليه مالا ، وأمره أن يعترف بأنه لخالد إذا سأله المنصور ثم دس أبو أيوب إلى المنصور من يخبر خبر مال خالد الذي عند النصراني ، فلما عرف المنصور ذلك أحضر النصراني وسأله عن المال ، فاعترف أنه لخالد بن برمك ، فعز على المنصور أن يكذب عليه خالد وأن يخفى عنه ماله ، ثم يساعده الناس لئلا يتأوه

المفروضة عليه ، ثم أمر بإحضار خالد ، فلما حضر سأله عن ذلك المال ، فحلف بالله أنه لم يجمع مالا قط ولا ادخره ولا يعرف ذلك النصراني ، ورجا المنصور أن يحقق ذلك الأمر ، فحلف أبو جعفر خالدا بحضرة ، وأحضر النصراني أمامه وسأله أتعرف خالدا إن رأيته ؟ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين — أعرفه إن رأيته وكان خالد جالسا أمامه ولم يعرفه ، فالتفت أبو جعفر إلى خالد ، وقال له : الآن حصحص الحق ، قد أظهر الله براءتك ، ثم وضع أبو جعفر يده على المال وأضافه إلى بيت مال المسلمين وقال لخالد : هذا مال أصبناه بسببك ، ثم قال للنصراني : هذا الجالس خالد ، فكيف لم تعرفه ؟ ، قال : الأمان يا أمير المؤمنين وأخبره الخبر ، فكان لا يقبل من أبي أيوب بعد ذلك شيئا في خالد ، ولكنته لم يؤاخذ أبا أيوب على ما أوقع به لخالد لماله عنده من المنزلة الخاصة التي نذكرها عند الكلام عن أبي أيوب .

وأما في زمن المهدي ، فإنه لما وُزر له أبو عبيد الله فسد ما كان بين خالد وأبي عبيد الله من التصافي ، وذلك لأمر يكاد يكون كالذي كان بينه وبين أبي أيوب وزير المنصور ، أو قريبا منه ، فإنهم يقولون : إنه كان بين أبي عبيد الله وخالد سر ، فظن أبو عبيد الله أن خالدا يحسده على مكانه من المهدي ، وعلى موضعه في الوزارة ، وتخوفه على السر الذي بينهما وكان أسره إليه ، فلما علم بذلك خالد ركب حتى أتى باب أبي عبيد الله ، فلما رآه غلبانه أعظموا ذلك ، وتبادروا إليه يستقبلونه ، ولما علم أبو عبيد الله بمقدم خالد ، تعجب وخرج مسرعا للقائه ، فقال له خالد : بلغني عنك أنك تخوفتني على سر كنت أسرته لي ، وما أتخذ ، ودتك عدة لعداوتك ، ثم حلف له أيمانا مغلظة أن لو قطع إربا إربا ما ذكر ذلك تعريضا ولا نصريحا ، ولا أطلع أحدا على شيء من هذا ؛ وليس ذلك ضرعا منه إلى أبي عبيد الله ، أو رغبة فيما لديه ؛ وإنما صرف من

داره ؛ ثم أوفداً به يحيى إلى أبى عبيد الله يخبره عن لسان أبيه أن كل امرأة له طالق ، وكل مملوك له حر ، وكل ملك له صدقة — إن دخل له منزلاً أو كلبه أبداً ؛ فأدى يحيى الرسالة كما أمره أبوه ، فشق ذلك على أبى عبيد الله ، وأمر يحيى أن يكون في حاجة أبيه ، فكان يحيى يلقاه فيكرمه ، ويقضى حوائجه ، والذي حدا بيحيى إلى هذا أنه كان يرى أن أبا عبيد الله رجل مسكين من أصحابه ، وقد وقع في نفسه شيء عليه ، فقد يرقى إليه عن يحيى كلام لا أصل له ، فيقبله ويصدقه ، أما وقد أظهر له ما في نفسه منه ، فإنه يأمن سعى أحد عليه عنده ولا يجرؤ أحد أن يحمله على مكروهه ، ويضع في حضرته من شأنه ، أو ينازعه محله .

وابتدأ اتصال خالد بهارون الرشيد زمن أبيه المهدي ، فإن المهدي أرسل ابنه هرون غازياً سنة ١٦٣ هـ ومعه خالد ، ولما قلد المهدي ابنه هرون بلاد المغرب ، كان خالد يكتب له ، فتولى ذلك ودبره ، وأحسن القيام عليه . ويذكرون من أخلاق خالد أنه كان سخيًا جليلاً نبيلاً سرياً كثير الإحسان قال الجاحظ نقلاً عن ثمامة : كان أصحابنا يقولون : لم يكن يرى لجلس خالد دار إلا خالد بناها له ، ولا ضيعة إلا وخالد ابتاعها له ، ولا ولد إلا وخالد ابتاع أمه إن كانت أمة ، أو أدى مهرها إن كانت حرة ؛ ولا دابة إلا وخالد حمله عليها — إما من نتاجه أو من غير نتاجه .

والذين كانوا يسترفدون الأغنياء ، ويطرقون أبوابهم للعطاء ؛ جرى العرف في زمنهم على تسميتهم بالسؤال ، فأنكر خالد ذلك الاسم واستقبحه ، لأنه يشعر بالمدلة والمهانة ، وقد يكون من بين السائلين والعفاة الأعزاء الأحرار ، وأبناء النعم ، والأشراف الذين ألح عليهم الدهر ، فعضهم بنابه عضه نفدت في صميمهم ، فأجأتهم إلى مد الأيدي ، وإراقة ماء الوجوه ، وتحمل المهانة في ذل السؤال ، وقد يكون منهم من هو خير ممن يقصد ، وأفضل أدباً — أنكر

خالد ذلك الاسم واستقبجه ، فأمر أن يسمى كل مستمبح عطاء ، أو طالب بر ؛
بالزائر وفي ذلك يقول بشار :

حذا خالد في جوده حذو برمك فجود له مستطرف وأثيل
وكان بنو الإعدام يُدعون قبله بلفظ على الإعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال في كل موطن وإن كان فيهم تافه وجليل
فسماهم الزوار سترًا عليهم فأستاره في المجتدين سدول
ويظهر أن المرء كلما نبه شأنه ، أو أعجب به من لم تربطهم به رابطة صداقة
أو زمالة في عمل — تفتحت عليه عيون عارفيه ، فكانوا كلهم في الحقده عليه ،
والدس له ، وحمل الغير على مكروهه ، ونار الحسد تتلظى في قلوبهم ؛ نحس
زفيرها في أنفاسهم ، ونقرأ صفحتها السوداء في عيونهم . وهذا نظام سائر في
الكون ، منذ خلق الله الكون . لذلك كان خالد محسودا ، ويحاول حاسدوه
أن يوقعوا به ، وقد مرت نكبته زمن المنصور ، وبرأه الله منها ، ولكنها لم
تلبث أن عادت ، وتكررت زمن المهدي — وذلك أن المهدي كان أنفذ خالدًا
إلى فارس عاملا عليها ، فاستخلف خالد ابنه يحيى ، فسقط الخراج عن أهلها ،
ووضع عنهم خراج الشجر ؛ وكانوا يلزمون خراجا ثقيلا ، وأكثر خالد
الصلوات والجوائز والإحسان إلى كافة الناس وخاصتهم على عادته في الإحسان ؛
وكان يفعل ذلك ابتغاء وجه الله ، أو تألفا لقلوب الناس ، باسترضائهم ؛ أو
ابتغاء الشهرة ، وبعد الصيت ، وجميل الأحداث ، أو لأي سبب آخر ؛ وهذا
لا يعنيننا في قليل ولا كثير ، وليكن الذي يعنيننا أنه تصدق ، وأنه أعطى ،
وأنه أسرف في العطاء ، حتى غضب الجند منه ، وبرموا به ، وشغبوا عليه ،
فاضطر إلى قتل قائد منهم ليقضى على الفتنة قبل أن تهب من مرقدتها ، ولكن
عمله هذا أحفظ عليه بعض المتصلين بالمهدي ، فأكثروا فيه حننه ، وأساءوا
فيه القالة ، ونسبوه إلى المعصية ، فغضب المهدي عليه ، ونكبه نكبة أشد من

نكبة المنصور له ، فإن المنصور اكتفى بصرفه عن عمله ، وتغريمه جملة من المال ، ولكن المهدي صرفه عن عمله ، وألزمه مالا جليلا ، ونجمه عليه نجوما أسبوعية فكان يؤدي في كل يوم جمعة نجما منه ، ولم يكتف بهذا ، بل ساقه إلى السجن ، ولولا أن الخيزران زوج المهدي وأم هرون شفعت فيه بالرضاع الذي بين ابنها هرون ، وبين الفضل بن يحيى بن خالد حتى رضى عنه ورد إلى منزله — لولا ذلك لتلف في السجن ، وقضى على أسرة البرامكة قبل أن يكون لها من الشأن في تاريخ الإسلام ما لها .

قدمنا أن خالدا خرج في غزاة صائفة مع هرون بن المهدي ، فمات منصرفه من تلك الغزاة سنة ١٦٣ هـ ، وقيل إن ذلك كان سنة ١٦٥ هـ وبذلك سكنت أنفاس رجل كان خصيصة عند المنصور وابنه المهدي ، وولى الأعمال الجليلة ، وكان عاقلا مدبرا سيوسا ، فلم يبلغ مبلغه أحد من ولده في جودة رأيه وبأسه ، وجميع خلاله ، وقد قصده الشعراء ومدحوه ، وأجزل صلتهم ، ومن مدحوه بشار ، ومن قوله بمدحه :

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برك	وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حليت بشعري راحتيه فدرّتا	سماحا كجادر السحاب مع الرعد
إذا جتته للحمد أشرق وجهه	إليك وأعطاك الكرامة بالحمد
لم نعيم في القوم لا يستثيبها	جزاء ، وكيل التاجر المد بالمد
مفيد ومتلاف سبيل ترائه	إذا ما غدا أوراخ كالجزر رالمد
أخالد إن الحمد يبقى لأهله	جمالا ، ولا نبقى الكنوز على الكد
فأطعم وكل من عارة مستردة	ولا نبقها إن الغواري للرد

محمد أحمد براني

٣ - المتصوفة

هذه الطريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ،
ومفتاحها الجارى منهاجرى التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله ،
وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى ٩
الغزالي

للمؤستاذ عظمة السبح

لن نبحث فى أصل كلمة التصوف ، ولا فى طبقات المتصوفين ، لأن البحث
مقصود على الخصائص النفسية ، للآجناس العقلية ؛ ولذلك سنذكر هنا أهم
الميزات النفسية للتصوف :

(١) المتصوفة قوم تحكموا فى القوة الغضبية ، حتى كادت تموت فيهم ، فهم
قد أعلوا غريزة المقاتلة ، وتساموا بها من مقاومة الغير ، إلى مقاومة الشر
والشهوات الكامنة فى نفوسهم ، فالناس منهم فى سلم أى سلم ، وهم مع أنفسهم
فى حرب دائمة ، إذ أول سلم للتصوف رياضة النفس ، وتهذيب الأخلاق .
ولذلك يقول الكنانى : « التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك
فى التصوف » . ولهم فى الصفح عن المسىء والتسامح مع الناس نواذر كثيرة
يحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يوما إلى بعض البرارى . فاستقبله رجل جندى
فقال : أنت عبد ؟ قال : نعم . فقال له : أين العمران ؟ فأشار إبراهيم إلى
المقبرة . فقال الجندى : إنما أردت العمران . فقال : هو المقبرة . فغاضه ذلك
فضرب رأسه بالسوط فشججه ، وردّه إلى البلد ، فاستقبله أصحابه . فقالوا :

ما الخبر ؟ فأخبرهم الجندى ما قاله له . فقالوا : هذا إبراهيم بن أدهم ، قتل الجندى عن فرسه ، وقبل يديه ورجليه ، وجعل يعتذر إليه . فقبل بعد ذلك لإبراهيم : لم قلت له أنا عبد ؟ فقال : إنه لم يسألني عبد من أنت ؟ بل قال : أنت عبد ؟ فقلت نعم ، لأنني عبد الله ، فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة . قيل : كيف وقد ظلمك ؟ فقال : علمت أنني أوجر على مانائي منه ، فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ، ونصيبه مني الشر . ودعى أبو عثمان الحريري إلى دعوة ، وكان الداعي قد أراد تجربته ، فلما بلغ منزله قال له ارجع فرجع ، فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانية فحضر ، ثم قال له ارجع فرجع ، حتى عامله بذلك مرات ، وأبو عثمان لا يتغير من ذلك ، فأكب على رجله وقال : يا أستاذ ، قد أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك ! فقال الحريري : إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب ؛ إن الكلب إذا دعى أجاب ، وإذا زجر انزجر . وكان أويس القرني إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة ، فيقول لهم : يا إخوتاه ، إن كان ولا بد فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقى ، فتمنعوني عن الصلاة . وقالت امرأة لمالك بن دينار : يا مرأتى فقال لها : يا هذه . وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة . ولهم من أمثال هذا التسامح كثير ، فليت المعجبين بمدينة الغرب يقيسون ذلك بما هو حاصل الآن في بلاد الغرب ، من حروب طاحنة ، لغير سبب إلا حب العدوان وعشق السلطان ، والميل إلى التحكم في الرقاب فيعلموا الفرق بين روح الإسلام السامية وهذه المدنية العاتية الباغية .

(٢) المتصوف زاهد في كل متع الحياة ، محتمل لرغباته الجسمية ، لا يستهويه أى جمال مادي ، ولا تهفو نفسه لشيء ، بما يتكالب عليه الناس ، فهو يثشد مع الزهاوى :

عظيم من استولى على الناس كلهم ولكن من استغنى عن الناس أعظم
ويؤمن بقول السلف : نعمة الله علينا فيما صرف عنا ، أكثر من نعمته

فما صرف إلينا، ويجزم بقول النبي ﷺ « إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه » واعلم أن المتصوف لا يرى زهده في الدنيا شيئا يستحق الذكر، لأنه يرى الدنيا لاشيء. ولذلك مر أبو يزيد على أبي موسى عبد الرحيم، فوجده يعظ، فقال له في أي شيء تتكلم؟ قال في الزهد. قال في أي شيء؟ قال في الدنيا، فنفض يده وقال: ظننت أنه يتكلم في شيء!؟ الدنيا لاشيء، إيش يزهد فيها؟ وهم يشبهون الله بالملك، والشيطان بالكلب على بابه، والدنيا بلقمة خبز، ويقولون من أراد الدخول على الملك فمعه كلب على بابه، فليلق إليه بلقمة الخبز ليشغله، وينال القرب من الملك. ويشبهون المهتم بحاجات جسمه، بدود القز، لا يزال ينسج على نفسه حيا، ثم يروم الخروج فلا يستطيع. لذلك تجردوا عن غير الضروري، وابتعدوا عن ذوى السلطان، وجانبوا العطاء، ونبتذوا الجاه وأسباب الفخار. يقول الحسن البصري في وصفهم: « لا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، وهي كانت في أعينهم أهون من التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة، لم يطوله ثوب، ولم ينصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بصنع طعام، وهم يروضون أنفسهم على ترك المباح، ليكونوا على كفها عن الحرام أقدر. ولذلك يقول السري: أنا منذ أربعين سنة تطالبنى نفسى أن أغمس خبزة في دبس. وكان مالك بن دينار يطوف في السوق، فإذا رأى الشيء يشتهيه، قال لنفسه اصبرى، فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك على. وكانوا يشعرون بلذة عند كفهم النفس، أكبر من لذة النوال، قال جعفر ابن حميد: أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم. ولا بأس في هذه المناسبة أن نذكر موقفا غريبا حصل لخليفة كبير مع متصوف جليل، فأما الخليفة فهو الرشيد وأما المتصوف فهو سفيان الثوري، وكانا

متأخين قبل الخلافة ، ثم هجره سفيان بعدها ، فكتب الرشيد إليه كتابا يقول فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان ، أما بعد : يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى وإخى بين المؤمنين ، وجعل ذلك فيه وله ، واعلم أنى واختك مواخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك ، وإنى منطورك على أفضل المحبة والإرادة ، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأنتك ولو حبوا ، لما أجد لك فى قلبى من المحبة ، واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخوانى وإخوانك أحدا إلا وقد زارنى وهنأتى وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى ، وقرت به عينى ، وإنى استبطأتك فلم تأتى ، وقد كتبت إليك كتابا مشوقا منى إليك شديدا ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل .

هذا الكتاب الرقيق كان رده من سفيان :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد الثورى ، إلى العبد المغرور بالآمال ، هرون الرشيد ، الذى سلب حلاوة الايمان ، أما بعد : فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى قد صرمت حبلك ، وقطعت ودك ، وقليت موضعك ، فإنك قد جعلتنى شاهدا عليك ، بإقرارك على نفسك فى كتابك ، بما هجمت به على بيت مال المسلمين ، فأنفقته فى غير حقه ، وأنفقته فى غير حكمه ... فشد ياهرون مئزرك ، وأعد للسألة جوابا ، وللبلاء جلبابا ، فقد رزئت فى نفسك ، إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيق القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ، وللظالمين إماما ... واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك ، وهو صائر إلى غيرك ، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد ، فمنهم من تزود زادا نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإنى أحسبك ياهرون ممن خسر دنياه وآخرته ، فأياك إياك

أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه ، والسلام .

٣ - رياضة المتصوف لنفسه ترقى روحه ، فيستطيع أن يدرك ما لا يدرك من غيره ، أو على حد تعبير الغزالي ، تنشأ له حاسة جديدة ، يرى بها ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ، وهذا الرأي وإن أنكره الماديون ، يتفق مع المذهب الروحاني الحديث ، الذي أصبح معترفا به من كثير من الجامعات ، وله أساتذة ومعامل أبحاث رسمية ، في كثير من الدول الراقية ، وقد اعترف به كثير من علماء المادة . الذين كانوا يحملون عليه ، ويهزون به ، مثل وليم كروكس أحد الكاشفين عن الأشعة ورئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني إذ يقول : حدثت حوادث روحية ، لم يعرفها أهل العلم ، ولكنها ثبتت لي بشهادة حواسي ، وبشهادة آلات ميكانيكية دلت على حدوثها . حتى أنني صرت الآن ألمح شيئا من العلاقة بين هذه الحوادث الغريبة ، ونواميس الكون المعروفة ، فالشعور عن بعد (انتقال الأفكار من عقل إلى عقل بغير واسطة الخواص) أحسبه ناموسا من نواميس الكون العامة . كما أنني أعتقد أن المعرفة قد تصل إلى عقل الإنسان من غير أن تبلغ إليه بطرق المشاعر المعروفة . وقد رد الغزالي قديما على بعض الماديين بقوله : « إنكارك لما شاهدناه ، بما وراء الخواص الخمس ، كإنكار السفسطائية للخواص الخمس ، فإنهم يقولون : ما نراه لا نشق به ، فلملنا نراه في المنام » على أن الأخبار المتواترة عن أكابر الصوفية في هذه المسألة ، لا تترك عند النصف مجالا للشك ، ولا سيما أن كثيرا منها روى على لسان أعلام في الدين والخلق ، قال إبراهيم الخواص : « كنت مرة في جبل اللكام ، فرأيت رمانا فاشتهيته ، فأخذت منه واحدة . فشققتها ، فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها ، فرأيت رجلا مطروحا وقد اجتمعت عليه الزناير ، فقلت : السلام عليك ، فقال : وعليك السلام يا إبراهيم ، فقلت : كيف عرفتني ؟ فقال : من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء . فقلت أرى لك حالا مع الله عز وجل

فلو سأله أن يحميك من هذه الزناير ا فقال : وأرى لك حالا مع الله تعالى ،
فلو سأله أن يحميك من شهوة الرمان ؟ فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في
الآخرة ، ولدغ الزناير يجد ألمه في الدنيا ، أقول إن عندنا ذخيرة وافية من
أمثال هذه الحكايات ، لسلفنا الصالح ، فهل آن لنا أن نحترمها ، وأن نقوم ببجتها
وإثباتها على ضوء العلم الحديث ، إعلاء لماضى آباءنا ، ورفعنا لشأن مدينتنا
الروحية ، التي تنصلنا منها ، فلم نفرز بسعادتها ، ولم نظفر بالمدينة المادية ، فخرنا
الأولى والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

٤ - المتصوف لا يؤمن بالمادة والتعدد ، فهو روحاني المذهب ، يدين
بوحدة الوجود ، ولا يعترف بأى قدرة لغيره ، وهو لخصوبة خياله . وسمو
روحه ، يستطيع رؤية الوحدة التامة ، والانسجام الكامل في العالم جميعه ،
ويلبس الخالق في المخلوق ، لأنه في وله دائم بالله ، وتقان في الذات العلية ،
وهذا هو مادعا الحلّاج إلى قوله : « مافي الحبة إلا الله » فلا فرق عنده بين
الفاعل والمفعول والمادة والروح ، كالعاشق الوامق الذي يرى حبيبه في طلعة البدر
وهبة النسيم ، وهزة الغصن ، وتفريدة الطائر لأنه سكران بخمرة المحبة ، التي
شاد بها ابن الفارض ، يرى العالم كله كلمات لله ، ورموزا لقدرته ، وأنوارا
لشمس الهداية الكبرى ، الكواكب ترمقه ، والأشجار تخاطبه ، وكل مافي
الكون جنس واحد ، بل شخص واحد ، هو بضعة منه ، ولذلك فهو يحبه
ويخلص له جملة لا تفصيلا . قال الغزالي : « لما بزغ بدر السعادة ، في فلك الإرادة
وظهرت شمس الوصل :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل وعدت إلى مصحوب أول منزل

ونادتنى الأشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

(٥) المتصوف لا يقف عند مظاهر الأديان وشعائرها ، بل يتغلغل في

الحقائق والغايات ، ويرى في جميع المظاهر الطبيعية صورا للعبادة الالهية التي

تهمه ، فالطير صافات ما يسكنن إلا الله ، والمياه منسابة في مجازيها بأمر الله ، وكل شيء يسبح بحمده ، فالمتصوفة من جميع الملل والنحل يتقابلون جميعا عند الوحدة والتجرد والعقيدة الإسلامية في الله تعالى ، ولا ينكر كل منهم على جنسه طقوسه ؛ لأنه كما قلنا يرى كل عبادة لله الأحاد ، مهما تنوعت المعبودات عند الملل ، ولذلك يقول ابن العربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فأصبح قلبي الآن كعبة طائف وديرا لرهبان ومعبدا أوثان
(٦) علم المتصوف لا يقاس بمنطقنا وحواسنا ، ولا ينبع منهما ، وذلك
لأنه لا يؤمن إلا بحواسه هو وقد ارتقت ويعتمد في علمه على الاشراف ،
والمنطق عنده خاص بعقولنا ، وواف بغرضنا ، ولكنه غير واف بغرضه ،
ولا صالح لمعرفته ، إذ أن عقله الروحاني لا يتأثر بعقولنا المادية « من حيث
أنها منفصلة عن المادة » ولا يخضع للضوابط الحسية ، وهذا هو السر في أن
كثيرا من كبار العلماء والفلاسفة ، يطرحون كثيرا من عليهم الظاهر ، وتجاربهم
ومعتقداتهم بمجرد انتقالهم إلى مرتبة التصوف . فالغزالي يقول : « لم أزل في
عنفوان شبابي ، مذ راهقت البلوغ ، اقتحم لجة البحر العميق ، وأتوغل في كل
مظلمة ، وأهجم على كل مشكلة ، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة ... حتى انحلت
عني رابطة التقليد ، وانكسرت عني العقائد المروية ، على قرب عهدني بالصبا
وظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه
ريب ... ثم فتشت عن علومي ، فوجدت نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه
الصفة إلا في الحسيات والضروريات ... فأقبلت بحمد بليغ أتأمل في المحسوسات
والضروريات ، فلم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات ، وأخذ يتسع
الشك فيها ... أقمت سنين لا شغل لي إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة ،
امتهنالا بتزكية النفس ، كما كنت حصلت من علم الصوفية ... وانكشف لي في
(٦) .

أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها ، والقدر الذي ينبغي أن نذكره ،
 أنى علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرتهم
 أحسن السير ، وطريقتهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق . بل لو
 جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء
 ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ، ويبدلوه بما هو خير منه ، لم يجدوا إليه
 سبيلا .

(٧) التصوف آخر مرحلة من مراحل الفلسفة وإن شئت فقل إنه شيخوخة
 الفلسفة ، كما أنه أعلى مراتب الدين والعبادة ؛ ولذلك نرى المتصوفين قسمين
 لاثالث لهما . أما الأول فهم فلاسفة روحانيون ارتقوا بعد طول النظر إلى
 التصوف ، ومن هؤلاء الفارابي الزاهد ، والغزالي العالم السائح ، وقد رمز
 إليهم نيتشه بقوله « سأشرح لكم تطور العقل في مراحل الثلاثة ، فأنبئكم كيف
 استحال العقل جملا ، وكيف استحال الجمل أسدا ، وكيف تحول الأسد أخيرا
 فصار ولدا ... ولماذا يجب أن يتحول الأسد المكتسح إلى طفل ؟ ذلك لأن
 الطفل طهر ونسيان وتجديد ولعب ، وعجلة تدور على ذاتها ، فهو حركة البداية ،
 وعقيدة مقدسة » أراد بتحول العقل إلى جمل ، كثرة ما يحمله العقل الباحث
 وراء الحقيقة من النظريات ، التي تنقض ظهره ، كما ينقض الوزر الثقيل ظهر
 الجمل ، ويتحول الجمل إلى أسد ، أن العقل بعد طول الجهد من غير طائل ، يقف
 من هذه المعارف المتناقضة موقف الهجوم عليها وتمزيقها ، كما يفعل الأسد في
 فريسته ، ويتحول الأسد إلى ولد ، طرح هذه النظريات ، ومقابلة الحقائق
 بالفطرة الأولى ، التي فطر عليها ، والسمو إلى مرتبة الإشراقات الإفلاطونية ،
 وهذا هو التصوف الفلسفي .

وأما القسم الثاني من المتصوفة ، فهم العباد المؤمنون ، الذين وصلوا إلى
 مقام المتصوفين بالعبادة والاقتداء ، لا بالنظر والبحث ، إذ منحوا بدل العلم

الواسع إخلاصا للعقيدة، وصفاء في القلب، حتى أشرقت عليهم الأنوار الإلهية، وتفجرت فيهم ينابيع الحكمة، ومن هؤلاء معظم المتصوفة من المسلمين، وإمامهم النبي ﷺ، وأول رتبة منهم الصحابة رضوان الله عليهم « فإن جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به. ونذكر هنا أن التصوف عن طريق التدين ليس خاصا بالدين الإسلامي فحسب، فقد يصل إليه حتى الوثنيون، كما قد ينحط المسلم الجاهل إلى مرتبة الوثني مع توحيده اللغظي، فالنسيبة التي قال بها إينشتين تسرى على العقائد كما تسرى على الطبيعيات، وكل ما هنالك أن طريقة الاسلام أصلح الطرائق وأمنها وأوضحها وأقربها إلى التصوف فلا يحتاج سالكها بحق إلى مشقات كثيرة، قبل الوصول إلى التوف، لأنها طريقة التوحيد المطلق، والتنزيه التام، وما التصوف إلا امتداد لها، ولعل ذلك يفسر كثرة المتصوفة من المسلمين، فالمسلم يسير إلى التصوف في سبيل قد أوضحته الصلوة وأنارته السراج، فهو آمن في البداية، متحقق من النهاية، أما غيره فلا يصل إلى الحقيقة إلا بعد رحمة الله، واقتحام أهوال جسام. وهناك يجد نفسه قد وصل إلى ما وصل إليه المسلم من جمال التنزيه وكمال المحبة والتوحيد. وهناك طائفة تعتقد أن التصوف هو لبس المرقعات، والهديان، وأولئك هم المخدوعون في أنفسهم لذويهم، وقد شبههم الغزالي بعجوز شمطاء، تلبس الدرع واللائمة وتحمل السيف، وتظن أنها بذلك قد أصبحت من الأبطال المرابطين، ناسية جسمها الهزيل، وأعضائها الواهية.

٨- كل من انتهى إلى هذه المرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى، فيحب الموت ولا يبكره، إلا من حيث انتظاره زيادة استكمال في المعرفة، فإن المعرفة كالبذر، وبحر المعرفة لا ساحل له، فالاحاطة بكنهه جلال الله محال، فكما كثرت المعرفة بالله، وبصفاته وأفعاله، وبأسرار مملكته - كثر النعيم

في الآخرة، كما أنه كلما كثر البذر وحسن، كثر الزرع وحسن. ولا يمكن
تحصيل هذا البذر إلا إذا زرع في صعيد القلب في الدنيا، ولا حصاد إلا في
الآخرة، فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة، لبلوغه
منتهى ما يُشرك له. ومن كره الموت منهم كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة
بطول العمر، فهذا سبب كراهة الموت وحبّه عند أهل المعرفة، وتعليل رغبة
المتصوف في الموت أنه عاشق، وليس التذاذ العاشق برؤية المعشوق في ظلمة
أو من وراء حجاب، كالتذاذ بإدراكه على قرب في كمال الضوء، وليس التذاذ
الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق، كالتذاذ الخائف أو المريض أو
المشغول — والصوفي يعلم أنه مادام في الدنيا فهو في ستر البدن ولدغ عقارب
الشهوات. لا يخلو منها ألبته، وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية وإن
الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون.

(٩) كثير من حالات التصوف، يعقب الحياة المادية المطلقة، فهو تصوف
يصل إليه المرء بعد التجربة، والتجوال في الشهوات الحسية، ولعل السبب في
هذا الانتقال (أو بتعبير أدق الانقلاب) احتقار الشهوة الحسية لسرعة زوال
لذتها، واستحالة التمتع بصورتها الذهنية، ولأنها كثيرا ما تكون مصحوبة
بالآلام، ولأن النفس كما يقول عمر بن عبد العزيز تواق، إذا نالت الدنيا
مالت إلى الآخرة، ولأن رد الفعل ناموس من نواميس الكون المضبوطة،
ومن أمثال هؤلاء عمر بن عبد العزيز وأبو العتاهية.

وهذه الحالة من التصوف غير مقصورة على الأفراد، فهي سارية أيضا
على الأمم، فكل أمة لها عهد شباب وحيوية مادية، ثم بحسب العلل السابقة
تنقلب إلى دور تصوف عام، يحط من عظمتها المادية، ويجعل السبق لغيرها
من الأمم، ويهبط برتبتها في مضمار الحياة، ويحكم عليها بالانحطاط أمام
ناموس تنازع البقاء. كما حصل للمصريين بعد حضارتهم الفرعونية، وللرومان

بعد دخر لهم في المسيحية، وكما سيحصل للأمم الأوربية عقب هذه الحضارة وعند شيوختها. ومدة تصوف الأمم مناسب لمدة نشاطها الحيوى السابق، فتصوف المصريين استمر أكثر من تصوف الروم، لأن حضارتهم القديمة عمرت أكثر من دولة الرومان، فشيخوخة الائمة مناسبة لشبابها.

هذه الكلمة في التصوف كنت أكتبها وأنا أعلم بأن كثيرا من القراء سيرونها غير مطابقة لمقتضى حال هذه الأيام، فأين التصوف من حرب الجبابرة وهذه الصفات الخاصة بالمتصوفة قد يضحك منها الآن أكثر الناس، ويعدونها تنطعا وغفلة. لأن هذا العصر الذى نعيش فيه، قد غابت عليه المادة، بحيث يستحيل على المرء أن يتصور متصوفا عازفا عن الدنيا؛ فقد زين للناس حب الشهوات الفانية، التى هى كدود المقابر يأكل بعضها بعضا. وذلك راجع الى أن جسم الإنسان قد تضخم بالمخترعات الحديثة، فالمذياع قد مد فى الاذن، والسيارة أوسعت الخطو، والمدفع قوى الساعدين، والمنظار مد فى البصر.... الخ وهذا التضخم الجسمى لم يتبعه تضخم فى الروح، فقل أثر الروح فى الجسم لأنها وزعت على مساحة أكبر من طاقتها، كما يقل أثر مقدار محدود من الماء سقيت به أرض فوق قدرته، فإنه لا شك يقل أثره فى الانبات.

فياؤها الساخرون من التصوف والمتصوفين، إن الشرق لن يستطيع أن يسبق الغرب فى مخترعاته وصناعاته، أو يجازيه فيها، ولن نستطيع التخلص من نير سلطانه المادى، إلا إذا غزوانه بمبادئنا الروحية، وإن فى تاريخ تنازع الحضارتين الشرقية والغربية منذ أقدم العصور لذكرى للذاكرين.

عطية السنج

ســــــــــــــــيدنا

للمؤسس محمد سعيد العربيه

كنا في مجلسنا من شرقه النادى حين لمنا صديقنا الأستاذ ع مفتش التعليم
الاولى قادمنا من بعيد، يتوكأ على عصاه وهو يميل يمينه ويسرة، ويطول في
مشيته ويتقاصر، إذ كان في رجله عرج قديم من التواء في إحدى قدميه،
فلما بلغ حيث كنا جالسين ألقى إلينا التحية ثم اتخذ له مقعدا على مقربة
ومضينا فيما كنا من الحديث، نتسرح من فن إلى فن، وشئون الحديث
تتداعى معنى إلى معنى وحادثه إلى حادثه، وقال واحد من السامرين: « رحم
الله سيدنا ! » فلم يكذب يتم عبارته حتى اعتدل المفتش في مجلسه
واختلجت شفتاه في تأثر وانفعال، ثم اهتبل الحديث يقول:
« سيدنا ؟ رحمه الله وغفر له ! » .

وتوجهنا بأبصارنا إلى الأستاذ ع، وقد أدركنا من حاله أن خاطرا
من ذكرياته قد ألم به الساعة، وأن شيئا ذا بال في كلمة « سيدنا » قد أيقظ
نفسه وهاج عاطفته، فرغبنا إليه في أن يقص قصته، فمضى يقول:

كان سيدنا الشيخ عبد الجليل له في القرية مكانٌ واحترام، لا يبلغ منزلته
أحدٌ من أهل القرية جميعا. ولا عجب، فهو شيخ القرية وعالمها ومعلم
بنينا، يستفتونه في أمر دينهم، ويستشيرونه في شئون دنياهم، وما منهم أحد
إلا له عليه يد، ولا ذو حاجة إلا كانت حاجته عنده، ولا ذات أمل إلا
بلغت مأمورها برقية من رُقي الشيخ أو تعويذة من تعاويذه،

وكان له « كُتَّاب » يَخْتَلِفُ إليه طائفة غير قليلة من صبيان القرية يحفظون القرآن ويتعلون القراءة والكتابة، ويقصد إليه ذوو الحاجات يطلبون مشورته أو يلتمسون بركاته.

وكنْتُ — ككلِّ قتي في القرية — أسمع باسم الشيخ وأضمر له في نفسي من المحبة والاحترام مثل ما يضر له الجميع، وإن لم يتهيا لي مرة أن أراه رأي العين. وذات صباح صحتني والدي إلى مكتب الشيخ عبد الجليل ليكل إليه تعليمي. وكنْتُ يومئذ في التاسعة من عمري وقد شدت من العلم شيئاً في مدرسة أولية بالمدينة حيث كنْتُ أقيم عند خالي، ومضيت خلف أبي علي طول الطريق لا أفكر إلا في السعادة التي تنتظرني ساعة أجلس بين يدي الشيخ المبارك أنظر إليه وأسمع عنه وأحفظ من عليه.

ورأيت الشيخ يومئذ لأول مرة. لقد بدا لي أصغر سنماً كنْتُ أتصوره في خيالي، وأحسبه كان صغيراً حقاً، فإنه على ذبوع صيته وامتداد شهرته في القرية، لم يكن قد جاوز الأربعين بعد، عرفتُ ذلك من لحيته السوداء وشاربه المحفوف. وكان في وجهه ذبول وعليه مسحة من صور الزُّهاد، أنبأتني بذلك عيناه الناظرتان أبداً إلى تحت، ولكنه على ما كان يبدو في وجهه وفي عينيه من التواضع والانكسار، لم يكذب لي أبي مقبلاً عليه بالتحية، حتى مدَّ له يمينه، فطأطأ أبي رأسه ومال على يده فقَبَّلَها، حينئذ لم أملك إلا أن أفعل مثله، أنا الذي لم يُقبَّلْ يوماً قط، حتى يدعى أبيه وأمه!

ومنذ ذلك اليوم، صرت تلميذاً من تلاميذ سيدنا الشيخ عبد الجليل، على أني لم أجد في نفسي لذلك من السعادة ما كنْتُ أتوقع، فما هي إلا ساعة أو ساعات في مكتب سيدنا، حتى ضاقت نفسي وأحسست مثل إحساس السجين يحاول أن يفر من حُرَّاسه!

كان الشيخ جالساً في صدر المكان علي فروة قديمة ناعيلة، وظهره مُسند

إلى وسادة حائلة اللون ، وبين يديه قيص يرقعه ، وعن يمينه دلو فيها جدائل من خوص أخضر ، وتحت رجله عصا غليظة يبدو طرفاها من تحت الفروة التي يفرشها ، وأمامه صبي من صبيان المكتب متربع في مثل جلسة المخبود « بُوذا » وهو يهتز بين يديه في حركة رتيبة ، ويقرأ شيئا من غيب صدره في نعمة واحدة ليس لها لون ولا فيها معنى ، وسيدنا مكبٌ على عمله يرقع قيصه وهو يستمع إلى الصبي ، لا يزيد على أن يرفع عينه إليه بين لحظة وأخرى . وفي المكتب عشرات من مثل هذا الصبي ، قد تربعوا أفرادا وأزواجا على حصير كبير يغطي أرض الغرفة جميعا ، وبين أيديهم كتب وألواح ، يقرءون مما فيها حيناً ، ويتبادلون الحديث من ورائها في نظرات صامتة حيناً آخر ، والشيخ يخط ، أو يجدل صفائر الخوص ، والصبي بين يديه يقرأ ...

وكنت غارقاً في تأملاتي ، لا أكلّم أحداً ولا يكلمني أحد ، لا لحظة عين ولا بنت شفة ، حين دوى صوت سيدنا غاضبا يتوعد ... ومال على نخذ الصبي أمامه يقرصه بغيط ، والصبي يتلوى من الألم لا يكاد يُسمعُ صوته من خوف سيدنا !

وكان هذا أول الشر ، ثم نهض الفتى الذي كان بين يدي سيدنا وجل محله صبي آخر ؛ ومضت فترة قبل أن يدوى صوت الشيخ في أذني مرة ثانية وهو يميل على نخذ الغلام يقرصه ، ولم يحتمل الفتى من الألم ما احتمل الصبي الذي سبقه ، فنَدَّتْ من بين شفّتيه صرخة ألم ! حينئذ هاجت هائجة الشيخ ، فوثب إليه « العريف » يعاونه على تأديب الصبي ، وفي أسرع من خفقة الطرف كان الصبي مجدولا على الأرض ، معلقا من رجله في خشبة غليظة يشدهما اليهما حبلٌ مفتول ، والشيخ يهوى على رجل الغلام بالعصا في قسوة وعنف وهو تحت رحمته يصرخ ويتلوى ويعض على شفّتيه من ألم الضرب !

أحمست قلبي في تلك اللحظة بكاد يثب من موضعه قرّقا وخشبة ،

فوليت بصرى إلى الناحية الأخرى ، فإذا صبيان المكتب جميعاً منكبون على ألواحهم ودفاتيرهم في خوف وفزع ، وقد زادت هزاتهم وتتابعت في سرعة كأنما يحرّكهم محركٌ غيرُ منظور . ولم ألبث أنا نفسى أن رأيتنى أهتز مثل هزاتهم وأحرك شفتى وليس بين يديّ لوح ولا كتاب كأنما هي تميمة أقرؤها لتردّ عنى الشرّ الذى أخاف !

كانت هذه هي عقوبة كل صبي من صبيان المكتب لا يحفظ درسه ، سواءً في ذلك ابنُ العمدة وابنُ الأجير ، ومع ذلك لم يحاول صبي واحد أن يتمرد على سيدنا أو يشق عصا الطاعة أو يجرب الإفلات من عقابه ، وأتى لهم بذلك وإن آباءهم وأمهاتهم جميعاً ليشقون بالشيخ ثقة عمياء ، فلا يتسمّحون لواحد من بينهم أن يشكو أو يتألم مما نزل به ، مؤمنين بأن عصا سيدنا من الجنة ! .

منذ تلك اللحظة ، تبدلت صورة الشيخ في نفسى فعاد أن بغض شئ إلى حتى لو استطعت أن أنتقم منه لهُولاء الصبيان وأفرّ بنفسي لفعلت . ومالى أخفى عليكم ؟ لقد طالما حاولتُ من بعدُ أن أسىء إلى سيدنا كلما مكنتنى الفرصة فتارة أخالفه إلى الأقلام التى تعب فى برّيتها ساعة من نهاره فأقصفها ، لا أدع قلباً منها له سن تصلح للكتابة ، وتارة أعابته بسرقة علبة السعوط فأستبدل بما فيها تراباً وحصى ، وتارات أخرى ... وما كان سيدنا يعلم من يفعل ذلك ، وإن كان على يقين بأن صبيان المكتب جميعاً غرماؤه ... !

قضيتُ فى مكتب الشيخ عبد الجليل شهراً وبعض شهر ، لم ينلنى فيها عقابٌ من عقابه ، حتى جاء اليوم المشؤم !

كان علىّ فى ذلك اليوم أن أحفظ جزءاً من القرآن الكريم ، فلم تهياً لى الفرصة أن أفعل ، وحلّ ميعادى ، فجلست بين يدي سيدنا وأنا أرتجف خوفاً

من عقابه ، فسأله المَعذرةَ في كلمات خافتة وصوت يرتعش ، وبدأ لي كأن
الشيخ قد قبل عذري ، حين اكتفى بقرصة مؤلمة في فخذي ، ونهضت من مجلسه
وأنا لا أكاد أصدق بالنجاة ، فقد كان أخوف ما أخافه أن يجداني على الأرض
ويهوى على رجلي بعصاه !

ومضت ساعة قبل أن يحل ميعاد ضبي من رفقائي كان عليه وحده تبعة
تقصيري في درس اليوم ؛ إذ دعاني في عصر اليوم الماضي لصحبته إلى الحقل
لنصيد العصافير ، فما عدنا إلا وقد أرخى الليل سدوله فلم نتهيا لدرس الغد .
وجلس القى بين يدي سيدنا مضطربا منتقع الوجه لا يكاد يُبين ، ونظرت
من خلف اللوح إلى سيدنا فإذا هو في هيئة الغضب ، ثم لم يلبث أن سمعته
يصيح بالصبي صيحة عرفت ما وراءها ، فأخذت أعالج خوفاً بهزات سريعة
كأنني أقرأ ، وأذني إلى سيدنا ؛ وطرق مسمعى قوله : « وأين كنتما أمس ؟ »
تصيدان العصافير ... ؟ »

ونادى عريفه ، فاسرع بأداته إليه ، وناداني
وقبل أن أرى صاحبي مجدولا على الأرض ، معلقا من رجله في الحشبة
كانت رجلاي تسرعان بي إلى الباب . ووقف العريف في وجهي ، فلم أجد
أماي إلا النافذة ، فاستجمعت قوتي ووثبت !
لم أدر بعد ذلك شيئا مما كان إلا وأنا راقد في فراشي ، ورجلي مشدودة إلى
جبيرة بأربطة من نسيج أبيض ، وأمي إلى جانب رأسي تبكي في صمت !
لقد أفلت من عصا سيدنا ، ولكنني دفعت ثمن ذلك غاليا فانكسرت رجلي ،
ومن ذلك اليوم لا أمشي إلا مستندا على عكاز .

وتأوه المفتش وهو يعبث في الأرض بعصاه ، وغرق السامرون في صمت ،
ثم عاد المفتش إلى حديثه .

لم يكن لي طبعاً أن أعود إلى كتاب سيدنا بعد الذي كان، فدخلت المدرسة الأولى بالمدينة، وانقطعت صلاتي بالشيخ وكتابه وعريفه وصيانيه، ولكن ذكره لم تفارقني قط، ذكرى مؤلمة مرة، ومن أين لي أن أنسى وهذه رجلي وتلك عكازتي لا تفارقني؟

وتأثرت الحقد في قلبي من يومئذ لسيدنا، فما كان يخطر بباله مرة إلا تأثرت في نفسي شياطين الشر...

وأكملت التعليم الابتدائي والثانوي، وكنت أقضي الصيف من كل عام في القرية، فكان لا بد لي أن ألقى سيدنا أو تلميذاً من تلاميذه عابراً في الطريق، فأطأ على رأسي وأوفض في السير خشية أن تنزوي نازية من الشر فأهوى بعصاي على رأسه فأحطمه!

نرى أكان ذلك شعوري وحدي، أم هو شعور الكافة من تلاميذه الذين ذاقوا من قساوته وعنفه مالا طاقة لأحد باحتماله؟.. ولكني أكاد أعرف تلاميذه جميعاً. وهل في القرية كلها رجل واحد لم يكن من تلاميذ سيدنا في يوم ما؟ وإنهم مع ذلك ليوقرونه ويرفعون مكانه، وإن منهم لرجالاً في مناصب رفيعة، وإن لي منهم لأصدقاء وزملاء!

وأكملت دراستي العالية، لا كون في أول عملي مدرساً في مدرسة من مدارس البنات الابتدائية، تتبعها روضة من رياض الأطفال، تضم شتيتاً من الصبيان والبنات بين الخامسة والثامنة، تعلمهم وتهذبهم على نمط من التربية لم يكن معروفاً لعهدنا في مثل هذه السن..

وكنت أغدو وأروح كل يوم من عملي على هذه الروضة الضاحكة، فيسرن مرأى هؤلاء الأطفال الصغار في ثيابهم المتشابهة، بين بنين وبنات، يلعبون ويمرحون في بساط مز الأرض تحت رعاية معلّمة عطف، لها قلب الأم وحرص المربية، تأخذهم باللين والرفق في التعليم والمعاملة،

وتشاركهم في اللهو، وتخاطرهم في اللعب، وتنفذ بكل أولئك إلى قلوبهم وعقولهم
فتنشئهم نشأة رقيقة، وتصل وجدانهم وعواطفهم، وتطبعهم من لدن
نشأتهم على الخير والمحبة والسلام !

وعلى قدر ما كان يسرني مرأى هؤلاء الأطفال، كان يتولاني شعور
بالأسف على أني لست صيا . . !

وكان أدنى هؤلاء الأطفال العزاز منزلة إلى قلبي، هو الطفل « فؤاد »،
فإني لأعرفه ويعرفني، وبين أبيه صلة من الود، إذ كانت نشأتنا في بيتين
متجاورين من القرية التي فارقناها معاً منذ آثرنا أن نكون في خدمة الحكومة،
وكان أبوه زميلي في كتاب سيدنا ولكنه لم يفارقه حتى أتم القرآن !

وكان فؤاد يلقاني صباح كل يوم فيحيني تحية طفلية رقيقة، ويودعني
في العصر بمثلها، فلا أزال من تحيته بين الصباح والمساء في نشوة وطرب .
وكثيراً ما كانت تحضرني إلى جانب صورته - صورة أبيه في صباه، جالسا
على الحصير من كتاب سيدنا، وبين يديه لوحة وكتابه، وهو يهتز هزات
متوالية ويدور بعينه بين الصبيان يبادلهم الحديث غمزات ونظرات . . .
واستمر المفتش في حديثه يقول :

هل كان هذا الطفل ومثله معه من أطفال الروضة، إلا لعنة حية تذكري
ما كان من جناية سيدنا علي في صباي وتورث البغضاء في قلبي !
. وتقلت في مدارس عدة، حتى بلغت أن أكون مفتشاً

وعلى أني كنت أعلم ما يلقاه المفتشون من المشقة والجهد، وما يتحملون من
النصب حين تضطرهم تكاليف الوظيفة أن يبيتوا ليالي عدة بعيدين عن أسرهم
وأولادهم متنقلين بين القرى والداكر - فإني كنت جداً مغتبط بما أسند
إلي من عمل، لازهوا بالمنصب، ولا رغبة في الجاه، ولكنها كانت أمنية

قديمه ليكون لي منها فرصة لتطهير القرى من مثل كتاب سيدنا الشيخ عبد الجليل .

أكان ذلك مني عن إخلاص في العمل وحرص على مصلحة التعليم ، أم كان إيماء من الواعية الباطنة التي تختزن الذكريات إلى إبانها ، تحاول أن تخدعني به عن حقيقة الشعور الذي يضطرم في نفسي بالحقد والبغضاء لسيدنا ، فتدفعني إلى محاولة الثأر والانتقام وهي تسمى ذلك إخلاصا في العمل وحرصا على مصلحة التعليم . . . ؟

لست أدري ، ولكن الذي كنت أوقنه يقينا لاشبهة فيه ، هو أنني كنت فرحاً بذلك ، طيب النفس به ، فما كان لي من بعد إلا أمنية واحدة ، هي أن يكون كتاب الشيخ عبد الجليل في دائرة عملي !
ومضت سنوات قبل أن تتحقق لي هذه الأمنية !

..... ورسمت خطتي وحددت نهجي ، ودنا اليوم الذي اخترته ميعاداً لزيارة الكتاب الذي دخلته أول يوم ترف على شفتي بسمه الرضا والسعادة وفارقه يوم فارقه محمولا على أكتاف الناس غائبا عن الوعي عما نالني من خوف سيدنا ، ثم لم أمش بعدها إلا متوكئا على عكاز ! وصحبتني أبالسة الشر يومين كاملين في يقظتي وفي منامي قبل أن يحين موعد هذه الزيارة ، فما انتفعت فيهما بنفسي ولا انتفع أحد .

وأشرق صبح اليوم الموعود ، فبكرت إلى ما عزمتم عليه ، بصحبتني تابع يحمل حقيبتى ، ويصحبتني شيطانى !

وكان بيني وبين كتاب سيدنا خطوات معدودة حين صك مسمعى صراخا ودنا من الصوت رويدا رويدا ، وسمعت الناعى ينعى إلى أهل القرية سيدنا الشيخ عبد الجليل !

ما أعجب القدر !

وظللت في القرية طول اليوم حتى أمشي في جنازة سيدنا . . . وما كان لي أن أفعل غير ذلك . . . وأعظم الناس هذا الوفاء ، إذ حسبوني لم أقدم إلا لذلك ، بقدر ما صغرت نفسي في عيني !

ومشت القرية كلها في جنازة الشيخ ، لم يتخلف منهم أحد ، وشيخوه محزونين وعادوا يعددون ما أثره لا يذكرونه أحد منهم بشر !

وعدت إلى مكتبي في المدينة مبكرا ، فلم ألق أحدا من الزملاء أحدثه بحديثي ويحدثني ؛ وجلست وحدي أنشر الذكريات وأطويها ، وفي نفسي ثورة تضطرم ، وفي رأسي غليان ، لم يكن بي في تلك اللحظة حقدٌ على أحد ، لا ، ولا كانت لي أمنية أحرص عليها ، ولكنني إلى ذلك كنت في حيرة من أمري ، أسائل نفسي . أكنت على حق في حقدي على سيدنا وما أضمر له من البغضاء ؟ وهل كان من السوء بحيث يحق لي أن أحمل له ما كنت أحمل من الكُره والموجدة ؟

لكنكم كان لسيدنا على هذه القرية من الأيادي . . . لقد كان قاسيا ، جبارا ، عنيفا ، ولكنه مع ذلك كان رجلا للناس لالنفسه ، وما نالته في يوم ظنة ولا تعلقت به تهمة ، فما يذكرونه أحد من القرية إلا بمعروف أداه ، أو جميل أسداه ؛ سواء في ذلك أهل العلم من تلاميذه وأهل التوكل والاعتماد !

. . . فإني لغارقٌ في خواطري وذكرياتي ، إذ دخلت إلى صديق من أصدقائي ينقل إلى النبا المفجع :

« فؤاد ، ابن صديقنا فلان . . . لقد تعجّل آخرته ، فأزهق نفسه لأن أباه أغلظ له في النصيح أن يكون رجلا ، ودعا حلاقا فقص له شعره . . . وعزّ على الفتى ما فعل أبوه ، فاغلق عليه غرفته فأحرق نفسه . . . هذه هي التبرية الناعمة التي نحاول بها تنشئة الجيل الجديد ليحمل تبعات الغد . . . »

فؤاد ! واحزنناه !

وحضرته في تلك اللحظة صورة فؤاد الطفل الضاحك يلقيني كل يوم
 بالتحية في غدوئ ورواحي على روضة الأطفال ، ثم صورة فؤاد الصبي العاثر
 يمزح مع أبيه في مجلس أصحابه وينضح وجهه بالماء يوهمه أنه عطر ، ثم صورة
 فؤاد الفتى الخليع يمشي في الشوارع يتثنى ويتخايل بزينته ، وعيناه إلى كل
 غادية ورائحة ، لا يعنيه من أمر شيء إلا ثيابه وزينته وشعره المرسل المصقول
 بالدهان والعطور كما تصقله الفتاة الناعمة ، ثم صورة فؤاد الصريع مسجى
 في أكفانه ، ومُشيع جنازته أول من يلعبه .

وسكت صديقي وسكت ، ولكن روح سيدنا الشيخ عبد الجليل ظلت
 تتحدث حديثها في نفسي ..

ولأول مرة منذ بضع وثلاثين سنة ، شعرت بأن سيدنا كان هبة الله
 لهذه القرية التي أخلص لها الحب ووقف عليها جهده حتى قبضه الله إليه ،
 فهتفت في تأثر .

« سيدنا ... ، رحمه الله وغفر له ! » .

محمد سعيد العربي

دیوانہ الاطفال :

العـــــــــــــــــدالة

للأستاذ محمد عبد المتعم سالم

فتحی (یداعب قطہ سمیر) :

قطي	الصغير	اسمه	سمير
لعبه	لطيف	يجلب	السرور
لونه	جميل	يشرح	الصدور
قطي	الصغير	ماله	نظير

رضوان (يفتح الباب بشدة ويدخل عليه قائلاً) :

فتحي فتحي قطك أينما ؟
سرق الاكل ومضى عنا

فتحی (بشدة) :

أنت ظلوم ما أقساكا !
قطي عندى ها هو ذاكا !

رضوان (يبحث عن القط) :

أَيْنَ القَطِ أَيْنَ القَطِ ؟

فتحی :

أذهب عنه يا رضوان
لا تظلمه هو حيوان

رضوان :

إن لم يحضر ويطع أمرى
فسأشكوه لأبي بكر

فتحنى :

أذهب واشك هو لم يفعل
وأبو بكر منا أعدل

رضوان (وقد ذهب إلى القاضى) :

يامنصف المظلوم بالعدل فى الأحكام
قد جاء قطُّ جارى فى حالك الظلام
فأكل الطعاما ولم يقف أمامى
فاقبل رجائى فيه وسقه للإعدام

القاضى (ملتفتا إلى رضوان) :

أذهب وجئت فى غد بشاهد وشاهد

رضوان (وقد أتى بالشاهدين) :

عندى فأر وغراب لم يعرفا إلا الصواب
القاضى : أحضرهما أحضرهما عساهما أن يعلما

القاضى (للغراب) :

ما اسم الفقى الزنجى

الغراب :

اسمى أبو على

أنا غراب نوحى ذو منطق فصيح

ووالدى معروف يعرفه الألف

أتيت من بلادى للعلم والجهاد

وخدمة الأنام حتم على الكرام

القاضي :

متى ولدت يا بن نوح

الغراب : ولدت في عهد المسيح

القاضي : ماذا رأيت يا غراب وأي شيء في الجراب

الغراب :

قد مر قط أسود وشعره مُلبَّدُ

نظرته في الصبح يدب عند فتحي

فأكل الطعاما وطير الحماما

وكان كالغضنفر في أكله للسكر

القاضي (ملتفتا إلى الفأر والفأر حائل لوحه في يده) تَكَلَّمْ :

الفأر : إني فار ولي في الدار أجحار

ولدت اليوم في الصبح وصرت أخط في لوحى

رأيت القط في الجبل يطوف ببرمة العسل

ويرفعها ويلقيها ويأكل ما يرى فيها

القاضي (ملتفتا إلى القط)

ماذا ترى يا قط

القط :

قد كذبوا وشطوا

وذلك المحامى يخبر عن كلامى

المحامى (بحماس) :

بأيها الحضور هذا الكلام زور

وتلكم الشهادة مكذوبة ياسادة

من في الصباح ولدا كيف يرى ما بعدا

وكيف عاش النوحى من زمن المسيح

والقط كان في الجبل فكيف عندنا دخل
وأى قط يا ترى يأكل يوماً سكرًا
والقط للفقيران يجهر بالعدوان
وخصمه اللادود منها هو الشهيد

القاضي (ينطق بالحكم) :

أَسْنَتَ بِاسْمِي وَإِنِّي بِصِيرُ
هَذِهِ الْإِسَاءَةِ حَكَمْتُ بِالْبَرَاءَةِ

القط (مسرورا) :

نَجَوُ نَجَوُ نَجَوُ نَجَوُ
بِالْصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقَضَاءِ

الجميع (مبتهمين يحيون سمير) :

قَطْنَا سَمِيرَ مَالِهِ نَظِيرُ

لَعَبِهِ جَمِيلُ يَجْلِبُ السُّرُورُ

قَطْنَا سَمِيرَ خَادِمِ أَمِينِ

نَحْنُ لِأَزَاهِ يَقْرُبُ الصَّحُونِ

وَهُوَ لِلْفَقِيرَانِ ظَاهِرِ الْعَدْوَانِ

كَلَّمَا رَأَاهَا ثَارَ كَالْبُرْكَانِ

عَشْتُ بِاسْمِي فِي مَدَى الدَّهْرِ

عَشْتُ بِاسْمِي سَاكِنَ الْقُصُورِ

محمد عبد المنعم سالم

مدرس بمدرسة إسماعيل للبنات بالإسكندرية

من القصص النبيلة :

قصة الأرنب والأسد

للمؤلف محمد يوسف المحجوب

الأسد (يختال في الغاب) :-

أنا الجبار ذو البأس أمير الوحش والغاب
أمزق كل مفترس وأفتك غير هباب

(ثم يمضي)

الذئب (إلى جماعة الوحش) :-

أرى المغرور يظلمنا بلا سبب ولا ذنب
نصا فيه ويقتلنا فليس له سوى الحرب

الثعلب (ناصحا) :-

ضلال أن نهاجمه فيفقد بعضنا بعضا
ورأي أن نسأله على زاد به يرضى

الذئب (مفكراً) :-

صواب رأيك العالي ولكن : من يقاتحه ؟

الثعلب :-

سأذهب راضى البال إليه عسى أصلحه

(ثم ينصرف إلى عرين الأسد)

الشعوب للأسد :-

(مولاي) عشت عزيزاً فينا على الأيام
نريد - مولاي - ألا تسعى لجلب الطعام
وكل يوم ستلقى طعامكم في انتظام
يأتيك عنا جميعاً فاهداً وعش في سلام

الأسد :-

رضيت ما قلت عهداً والويل أن تكذبوني
أنا القوى فخافوا بأسى ولا تغضبوني
(بعد أيام يأتي الدور على جماعة الأرانب)

الذئب (لجماعة الوحش) :-

الدور (يا قومي) على جماعة الأرانب
أرنب (تتطوع) :-

هيا ابعثوا بني عاجلاً حتى أؤدي واجبي
جماعة الوحش (تودع الأرنب) :-

كما أردت فاذهبي وقت شر العطب
وقت شر حاسد وعشت أوفى أرنب

الأرنب للأسد (وقد أبطأت حتى فات موعد طعامه) :-

سيد الغاب أماناً عشت للحق نصيره
أرسل القوم طعاماً « أرنباً » مثلي صغيره
فتبدى ليث سوء هاجماً يبدى غروره
خطف الزاد ، فقلنا : خنت في الغاب أميره

سب مولاى سباباً أنا منه مستجيرة

الأسد (غاضباً) :-

وأين مضى ذلك المجرم ؟

الأرنب لدى البئر، فى أكلها ينعم

الأسد (متوعداً) :-

إلى البئر حتى يرى حتفه ويعلم إن كان لا يعلم

(ويسيران حتى يقفا على حافة البئر)

الأرنب (مشيراً إلى خيال الأسد وخطاها فى الماء) :-

هذا هو «الليث» يبدو وتلك «زاد» الأمير

الأسد (هائجاً) :-

لأعشت إن عاش بعد وليلق شر المصير

(ثم يهجم على الخيال فيغرق)

الأرنب (وقد عادت فرحة إلى جماعة الوحش) :-

غرق الباغى وتم المصراع

جماعة الوحش (تغنى) مسرورة :-

كم نرى «ليثاً» ولكن يندع

عشت للغاب ، وعاش المنبع

أرنب «صغرى» ولكن : تنفع

محمد يوسف المحجوب

المدرس بمدرسة مصر الجديدة للبنين

متفرقات

للهُستاد عبد العزيز محمد خليل

إلى صديقي النازح

ذكرتك يا صديقي فاعترتني لذكرك هزة الكلف المشوق
فبت ولى إليك هوى مُلح وقلب لم يزل بك فى خفوق
أ كفكف من تليفه فأبى ويُذكرنى بمالك من حقوق
ولم يك قبل يصدف عن ولائى فأثر أن يلج به عقوق
ألست خلاصة نفر المرّجى ولست ذؤابة نفر الصديق ؟
وكنت يدى على نوب الليالى كريم الغيب محمود اللصوق
وأنت أخى ورب أخى إخاء أبر رعاية من أخ شقيق
شربت على يدك الصفو مما تدرّ به خلائق كالرحيق
وشمت بك الزمان بدا بوجه جسيم الخير لمّاح أنيق
وكان بك الشباب شباب هدّى من الأخلاق والرأى الوثيق
وأحضنى ولاؤك مائنانى إليك بطاعة المولى الرقيق
فليتك لم تكن يوما بناءً إذا ما أبت منك بلا رفيق
«أبوالفئات» يعرف كيف يصفى أخاه الود فى البلد السحيق

نشيد مدرسة الحلمية للبنات

مَجْدَى عرشك لمّاح السّنا واملئى الوادى بألحان الخلود
وأهيبى وتغنّى بالمنى واهتنى تسمعك آذان الوجود
يا ابنة النيل السعيد يا ابنة العصر الجديد
عصر رب الشعب فاروق الأمين

أنت رمز العلم في الوادي الخصب ورسول السلم في تلك الربوع
ورجاء الناس في الآتي القريب وثنا يصفوا شذاه ويضوع
إنما العلم حياة يبلغ الشعب مناه

يوم ترقى البنت في علم ودين

يا ابنة الحلية امضي للعلا بسلاح العلم والدين القويم
وانهضي في عصرك الحر ولا ترهبي فالتصريح للحر الكريم
هذه الدنيا كفاح فاز فيها بالفلاح

أمة سادت بنات وبنين

من لهذا الشعب يُصفيه الحنان ويُرجيه لدى العيش النصير؟
من له يُنسيه آلام الزمان ويواسيه إذا عزَّ النصير؟
فارحمي العاني الغريم وامسحي دمع اليتيم

يا ابنة النيل ونسل الأكرمين

وصف زورق

وزورق يجري به في الماء شراعه كالطير في الهواء

له يدان شدتا من خشب مثل ذراعي ساجح مُدَرَّب

وتدفع الريح له شراعا فيقطع اللجة والبقاعا

وينبهرى ميامنا مياسرا كما تهز الريح عضنا ناضرا

حيزومه يبدو من الأمام محددًا كجؤجؤ الحمام

يشق وجه الماء أنى سارا ويترك الموج به آثارا

ومن ورائه يرى سكاكته يديره بيده ربانته

مفطح كذنب الطيور في شكله ونفحه الكثير

يهديه في الذهاب والإياب فلا يضل السير في العباب

ورب شيء تافه صغير يكون ذا فضل على الكبير

في حفلة الألعاب الرياضية

الطفولة

حتى الطفولة في نضارة عهدها عهد النشاط ومسرح الألعاب
واذكر بها عهد الصبا ومراحه بين الحى وطوائف الأصحاب
ولت به الأيام حلما في الكرى حلوا، ولكن لات حين مآب
ومضى على عجل فلم تنعم به وقضى لبائته على الأبواب
حتى إذا ماذق يؤذن بالنوى خفقت له الآمال في الألباب
وجرى الشباب إليه يخطب وده فأبى ولم يظفر له بإياب
فإذا حنت فما الحنين تراجع ما اشتبه بعد طول غياب
وإذا صبوت إليه عنفى على هذا الوفاء له لسان شباني

الألعاب والطفولة

لله عهد بالطفولة باسم زاه كزهر الروض غب سحاب
عهد به الآمال جد فسيحة جم الغرائز مترع الآراب
عهد به العفريت رمز خياله يجرى وراء الحادث الخلاب
خصب الخيال مليئه فكائه لوح الخيالة أو فصول كتاب
الطفل فيه على حداثة سنه قبس من التفكير ليس بخاب
كلف بتقليد البطولة مغرم بالسبق بين لداته الاتراب
فإذا ترعرت الطفولة واغتذت بمباهج الألعاب والتجواب
فتحت لها سبل الحياة وأخرجت ثمر الفتوة ناضر الحلباب
وأنت به صلب القناة مدربا جلدا ليوم كريمة وضراب
وأفاد من هو الحياة وجدها ما يرتقى بهما ذرا الأسباب

مبادئ الرياضة

هذا هو اللهو البريء فرفهوا عنكم عناء العيش بالألعاب
 وخذوا بها أجسامكم من قبل أن تتقيدوا بالسن والالقاء
 وتمتعوا فيها بما ينسيكم هم الزمان وصرفه المتاب
 العيش ضاق فلن يلين لنا شيء أخى عليه الدهر بالأوصاب
 والعصر عصر مصانع ومطامع لا عصر حانوت ولا كتاب
 والعصر عصر رياضة ورياسة وتنافس في الغنم والأسلاب
 سادت به أمم الرياضة غيرها ممن غدت في عزلة وحجاب
 وتمكنت في الخافقين بفضل من أئمه من أبطالها الأنجاب
 من لم يجار الدهر خيفة ناقد فقد استعار طبيعة الكذاب

عبد العزيز محمد خليل

حلبة البنات

فهرسست

العدد الاول من السنة السابعة

الكاتب	المقال	صفحة
التحرير	مقدمة : من شتون وزارة المعارف	٣
للدكتور أحمد ضيف	التفاضل بين الشعراء	٩
للاستاذ علي التجدي ناصف	التمثل في الأدب العربي	٢١
د محمد علي الدسوقي	تيسير اللغة العربية وتهذيبها	٣٧
د عبد الحميد حسن	فنون الأدب	٤٦
د سيد قطب	المطربون والمطربات هم الطابور الخامس	٥٢
د محمود غنيم	المرومة المقنعة	٥٧
د عبد الرزاق حميدة	إلى الأمام	٦٨
د محمد أحمد براق	خالد بن برمك	٧٤
د عطية الشيخ	المتصوفة	٨٣
د محمد سعيد الغريان	سيدنا	٩٤
د محمد عبد المنعم سالم	من ديوان الأطفال «العدالة»	١٠٤
د محمد يوسف المحجوب	من القصص التمثيلية: قصة الأرنب والأسد	١٠٨
د عبدالعزيز محمد خليل	متفرقات	١١١